جاي دو بورتالاس

Guy De Pourtalès

نيتشه في إيطاليا

Nietzsche in Italia

سيرة حياة

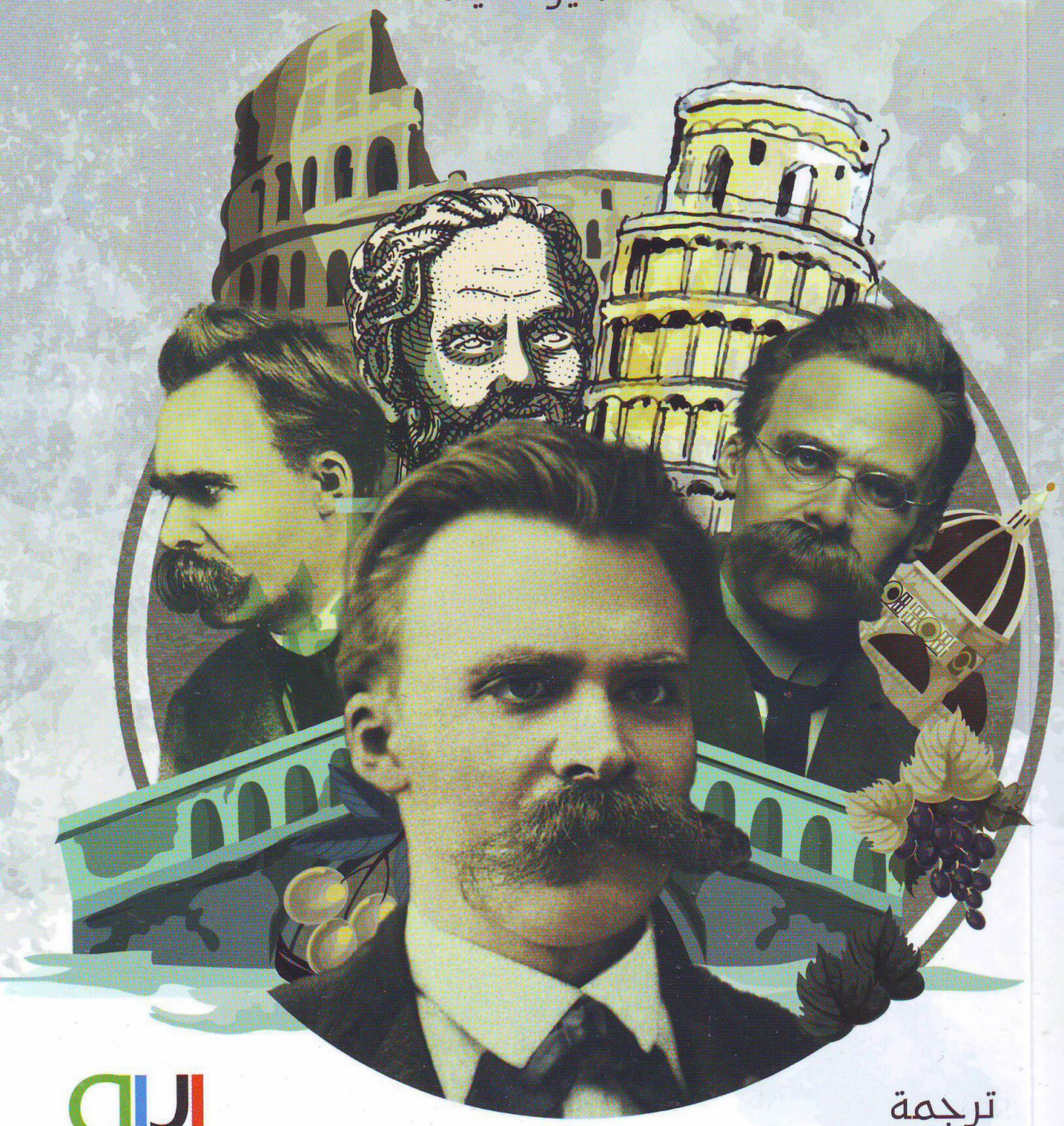

ترجمة

فتحي ساسي

عنوان الكتاب: نِيتْشَه فِي إيطَالِيَا
المؤلف: جاي دو بورتالاس
ترجمة: فتحي ساسي
التصنيف: سيرة حياة

رقم الإيداع: ٩٢٣٨ /١٤٤٣
ردمك: ٧-٠٠-٩١٨٣٩-٦٠٣-٩٧٨
الطبعة الأولى: ٢٠٢٢

+966500877986 Teriaq_Ksa
info@teriaq.publishing.com Teriaq_Ksa
teriaq.publishing.com Teriaq_Store

السعودية - الرياض - طريق مطار الملك خالد الدولي - واجهة الرياض - (أعمال) مبنى رقم ١٦ - مكتب ٢٣ - ١٣٤١٤

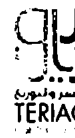

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع دون علم الدار
يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والتوقيف.

جاي دو بورتالاس

نِيتْشَه فِي إِيطَالِيَا

سيرة حياة

ترجمها عن الفرنسية

فتحي ساسي

"إنّ الحيوات الأكثر جمالًا في رأيي هي تلك الّتي تتّبع الأنموذج الإنسانيّ المألوف دون تصنّع أو مبالغة."

(موتاني[1])

"ومن ذا الّذي يظلّ مسيحيًّا وفقا للمسيحيّة الّتي جاء بها المسيح، يمكن أنا الوحيد، بالرّغم من أنّك قد تكون مستعدًّا لتعتبرني وثنيًّا."

(جوته، حوار مع المستشار فون مولر[2])

(... أظنّ أنّ الإنسان الكامل من بين ذلك القدّيسين، القدّيسين الحقيقيين الّذين هم الذّوات العليا، هم في نفس الوقت النّاس الأكثر قدرة على الحبّ. نعم، إنتاج أكبر لأعظم اكتشاف، ولأعظم الأفكار الّتي تواكبها دائمًا عاطفة رائعة. في أصل الحياة الفكريّة، هي العاطفة. فمن المستحيل أن يكون الذّكاء الأعلى لا يتماشى مع أعلى وأدقّ صفات الرّوح".

(جول سوري[3]، حديث من دفاتر موريس بريه[4])

---

١ موتاني: ميشيل إيكيم دي موتاني، سيد موتاني، ولد في٢٨ فبراير١٥٣٣، وتوفي في١٣ سبتمبر١٥٩٢، فيلسوفًا فرنسيًا وأخلاقيًا من عصر النهضة.

٢ فريدريك ثيودور آدم هاينريش فون مولر: (من مواليد١٣ أبريل١٧٧٩ في كونروث، وتوفّي في٢١ أكتوبر١٨٤٩)، مستشار دوقية ساكس فايمار إيزيناتش عرف بقربه من جوته.

٣جول سوري: (٢٨ مايو١٨٤٢-١٠ أوت١٩١٥) منظّرًا ومؤرّخًا في علم النّفس العصبيّ، وأستاذًا في المدرسة التّطبيقية للدّراسات العليا.

٤موريس بريه: ولد في١٩ أغسطس١٨٦٢ في تشارمز، وتوفّي في٤ ديسمبر١٩٢٣، كاتب وسياسيّ فرنسيّ.

الفهرس

إلىٰ بول فاليري ٩

مسافر دون أمتعة ١١

المرفأ الملكيّ في "سورنتي" ١٩

موسيقىٰ البندقيّة ٢٩

قديس "جنوفا" الصّغير ٤١

زارادشترا عاشق كارمن ٤٧

الآنسة "لو أناكزوس" ٥٧

الآلهة موتىٰ والأنبياء أحياء ٨١

خرج من بلد لا يسكنه أحد ٩٣

كلّ المشاكل العالقة في الشّعور ١٠١

إنارة "تورينيز" ١١٥

"ديونيسوس" المصلوب ١٢٥

سيرة الكاتب: جاي دوبورتالاس ١٣٧

سيرة المترجم: فتحي ساسي ١٣٩

إلى بول فاليري

اسمح لي عزيزي "فاليري" أن أقدّم لك هذا المقال القصير، وغير المكتمل عن رجل لمستم عظمته الّتي لم تكن واضحة حينذاك، وأدركتم بلبلة فكره واضطرابه، ربّما لم أكن أفكّر في وضع اسمك في الجزء الأعلىٰ لهذه الصّفحات، إذا لم تدفعنا صدفة فرصة الاجتماع الأخير علىٰ التّحدّث عن "جنوة".

هي مدينة كنت قد أحببتها مثل نيتشه، أين كنتم قد قاتلتم مثله في حدود العشرين سنة المعركة الرّوحيّة المخيفة ونتيجة لذلك تخلّيتم منذ البدء عن قطف انتصاركم. فيما قرّر نيتشه عكس ذلك أن لا يترك فرصة للحصول علىٰ ذلك. لقد كان لك الحقّ أن تنتظر وليس لك الحقّ في أن تستعجل ذلك. كان ذلك تقريبًا بعد عشرة سنوات في شتاء قضاه في "جنوة"، كان ديسمبر الحزين في " تورين".

بعد ذلك ألم تكتب عنه: " لم أكن أتصوّر أنّ هذا التّفكير الكبير والرّهيب لم ينته بعد، مع مّا لا يمكن التحقّق منه...." حتّىٰ نحن يا عزيزي "فاليري" قد انتهينا لأنّ عندما تأتي أعمال العقل في الحبّ أو الكراهية لتأخذ حصّتها في الخلق تكبر المسافة بين الأشياء الّتي لا نستطيع تحقيقها لتصل إلىٰ مركز تفكيرنا. مع ذلك كان علىٰ حساب صلابتها، فربّما هذا لا يخلو من حركتهم، إلىٰ انحيازهم: ليصبحوا ضعفاء، وفي

نفس الوقت أحياء. إنّما تحت هذا الجانب العاطفيّ كنت قد بحثت عن نيتشه. يمكن أنّني استسلمت إلىٰ" الأحاسيس السّيئة المفيدة" الّتي توصي بالاقتراب منها. لذلك اعذروني: هذه سلسلة من الصّور الّتي لا تودّ أن تتّضح مع أمير الفكر هذا، فقط المنطق السّخيف، ولكن العنيد للقلب).

(ج.دي.ب جويلية١٩٢٩)

****

مسافر دون أمتعة

عندما يعيش الإنسان نهاية حبّ واكبه لفترة طويلة، يسرع في طلب الموت. ولكنّ الموت نادرًا ما يأتي رغم حاجته إليه، ومن الضّروريّ بالنّسبة إليه أن يعيش وأن يصمد أو للأسف أن يبقىٰ علىٰ قيد الحياة.

ويستفيق ذلك الجريح ليضمّد جراحه، ويهرب. يقولون له سافر. فيرحل مع ظلّه، وحين تلتقي به يبدو لك أنّه تعافىٰ. ولكن لا أحد يشفىٰ من حبّ ضاع، هو حتما ليس نفس الكائن الّذي رأيته رغم أنّه هو بنفسه، بعينيه، بابتسامته، وبيديه. ولكنّه محاط بأكمله بتلك "الوحدة الصّاخبة" تلك الّتي كان يتحدّث عنها "سان جون دولاكروا"[1] بعد أن أصبح لواقعه الصّامت صوتًا مختلفًا.

وضع نيتشه خطاه لأوّل مرّة علىٰ الأراضي الإيطاليّة في خريف ١٨٧٦ هاربًا من ماضيه. كان شبابه ممزّقًا داخل قلبه. هذا الرّجل صاحب الثّلاثة وثلاثون عامًا ممتلئا بقوّة روحيّة نادرة قادمًا لإكمال أوّلىٰ خطواته في التّضحية بسعادته. لقد تخلّىٰ عن حبّه الكبير والسرّيّ الّذي ما فتئ منذ أكثر من ستّ سنوات يعكّر حياته بشكل من أشكال الحلم الفكريّ دون أمل "لكوزينا فاجنر"[2].

---

١ سان جون دولاكروا: رسّام فرنسيّ من رواد المدرسة الرّومانسيّة الفرنسيّة له العديد من اللّوحات في متحف لوفر الفرنسيّ (٢٦أفريل١٧٩٨ وتوفي في أوت١٨٦٣).

٢كوزينا فاجنر: زوجة الموسيقار العالميّ "فاجنر."

تنكّر ذلك السيّد لزوجته الشّهيرة كما كان الجميع ينادونه، هو رجل من" بايروث "شهد المسرح نجاحه وعظمته بدرجة كبيرة لا تقلّ عن غروره وتباهيه، فيما هناك نسق بسيط للعبقريّة يطهّر روحه من مرض طال أمده، وتورّط فيه طيلة سنوات، وكان قد تعامل معه علىٰ أساس أنّه قوّة، ونبع صاف، حيث لم يكن يكتشف فيه غير خصلات خشنة ونباتات متعفّنة. ذهب الأستاذ الجامعيّ الشّاب في فترة نقاهة إلىٰ "جنوة "

و"سورانت" بعد أن أصيب منذ فترة بأضرار فادحة في نظره، فقد كان يعاني من آلام حادّة لصداع نصفيّ مؤلم. هذا المثقّف النّحيف الّذي يخفي نظرته خلف نظّارات سميكة، ويواري ابتسامة تحت شارب كبير، يتوقّف أوّلا في حمامات "باكس"[1] في "الكنتون دوفو"[2]، ثمّ في إحدىٰ مساءات منتصف أكتوبر يقصد جنيف في اتجاه إيطاليا.

فلنتخيّل ماذا يمكن أن يكون في مثل هذه الرّحلة في مربّع مستطيل ضيّق كما يحدث في العربات علىٰ الطّريق القديم. كان الدّكتور الشّاب يجلس هناك بحكمة خجولة بين امرأتين ألمانيتين في اتجاه "جنوة" أيضًا. تواصل النّقاش كامل اللّيل مع المرأة الأصغر سنًّا "مدام إيزابيل فوندار بالن" الّتي ظلّت دائمًا منبهرة. صحيح أنّ نيتشه متحدّث لبق لا ترىٰ مثله في ألمانيا. كان فرحًا يعرف كلّ شيء. يتحدّث عن كثير من الأشياء. أفضل

---

١ باكس: ميثولوجيا الرّومانيّة ربّة السّلام وآلهة كانت تُعبد خلال حكم أغسطس قيصر.

٢ الكنتون دوفو: مدينة في غرب سويسرا.

من أيّ شخص، يعرف كيف يصمت ويؤهل صمته بالأفكار. كان يحمل في جيبه كتابًا "لروش فوكولد[1]". كان يتساءل أين سيفتحه، فتحه وسقط على هذا المبدأ (كلّ إنسان يقول كلامًا جميلًا من قلبه ولا أحد يجرؤ على قول ذلك من روحه) بالضّبط، ولكن لماذا؟ لأنّ قلوبنا قُدّمَت لنا، إذ أنّنا إذا جاز التّعبير لسنا مسئولين عن ذلك لأنّها مسألة قناعة.

بينما لدينا عقولنا الّتي شكلناها تفرض علينا بعض التّواضع. فلو كان حارقًا أن يكون لنا كثير من الأرواح كما قال "باراس"[2] فيما ليس ممكنًا أن يكون لدينا عديد القلوب. متعدّدة هي الأرواح، وقلوبنا واحدة تتطوّر وتنقسم، أمّا القلب فيبقى دائمًا كاملًا ومتوحّشًا. الرّوح تصنع الشّخصيّة، والقلب يصنع الإنسان.

نيتشه يفكّر أنّ لديه كثيرًا من ذلك القلب وقليلًا من الرّوح. قريبا سيقول شيئًا آخر. ولكن في الوقت الرّاهن يفكّر في كتابه أكثر من الحياة. أعيش ماذا يمكن أن يفسّر لهذا المربّي المهدّد بمرض العمى. فقير، ومجهول، واهن منذ وقت مبكّر. ويشعر مع ذلك أنّه يحمل داخله الإنجيل العقلانيّ للغد؟

---

١ روش فوكولد: هو فرانسوا السّادس، الدّوق الثاني لاروشفوكولد، من مواليد (١٥ سبتمبر ١٦١٣) في باريس وتوفي في (١٧ مارس ١٦٨٠)كاتب وعالم الأخلاق والنّصب التّذكاري الفرنسيّ في القرن السّابع عشر والجنديّ، إنّه جزء من الحركة الأدبيّة الكلاسيكيّة.

٢ موريس باراس: ولد في ١٩ أوت ١٨٦٢ وتوفّي ٤ ديسمبر ١٩٢٣. كاتب وسياسيّ فرنسيّ.

أعيش... لا يمكن أن يعني شيئًا أكثر من أن أتأمّل وأن أعمل، وأكتب، أن تكتب يعني أن تفسّر ذاتك، أن تتسرّب، أن تملأ الطّرف الآخر بمعادلة الحلم. هو كلّ ما لم يستطع القدر وضعه في الواقع، ويجبر الكارثة لتستعيد التّوازن. في كلمة واحدة إنّ تعويض النّقص النّاجم عن القدر. يضحك في صمت، وفي نظرة قصيرة لأنّ التّعويض كارثيّ: فالمخطوطات الّتي حزمها في حقيبته هي قنبلة قادرة علىٰ تفجير الأرض.

وصلوا إلىٰ "جنوة" تحت شمس رائعة. ذهب نيتشه علىٰ الفور إلىٰ الفراش. رأسه محطّم وعيناه متعبتان. في غرفة الفندق تجد مصراعًا يوقي من حرارة الشّمس، وقد وجد متّسعًا ليوم من الرّاحة، هكذا كان هروبه بين جدران سجن جديد: ألا وهو المرض. آلام الرّأس، وأوجاع العينين عبثت به في الأشهر الأخيرة، حتّىٰ إنّه قرّر التماس من سلطات "البلواز" سنة كاملة من الرّاحة. فمن الأفضل أن لا تعيش بتاتًا علىٰ أن تواصل العيش تحت هذا العذاب، راحة مطلقة، طقس معتدل، التّجوال، غرف مظلمة، هذا ما طلب من إيطاليا، فهل سترفض طلبه؟

ثمّ فكّر ماذا أنجز حتّىٰ الآن؟ مرحلة صعبة كطالب، أستاذ فقه اللّغة، قاطعت فترة الحرب بعض سنوات من التّدريس، عندها أدرك أنّ اللّغويات هي أساس كلّ الفلسفة مثلما قال "بوردن" التّاريخ الطّبيعي للتّفكير الإنسانيّ. كان قد التقىٰ " فاجنر" ورموزه البسيطة الّتي حوّلها إلىٰ رموز موسيقيّة معقّدة، عاش لفترة طويلة مع الفلسفة اليونانيّة راغبًا أن

يكون لاتينيًّا مع أشباح المغرورين في الغابة الألمانيّة. لقد نشر كتابه "ميلاد التّراجيديا" وهو عمله الرئيسيّ. ابتسم نيتشه، كتاب جميل ارتقىٰ إلىٰ طليعة كتّاب جيله. خطير ومزعج. ابتسم نيتشه أكثر. يحتوي هذا الكتاب أحسن الأدوية الشّافيّة والصّالحة للإنسان المسيحيّ والرّومانسيّ. ثمّ نشر بعد ذلك بعض من الاعتبارات غير ملائمة.

كان "ريشارد فاجنر" في "بايروث" بالكاد قد جفّ حبرَه. كلّ هذا باستثناء كتابه الّذي لا يعرفه القرّاء. كان "فاجنر" قد انتابه الشكّ بأنّ هذا المتدرّب الشّاب قد عبث بمركّب "الكينين" المستخدم كعقار لتخفيض الحمّىٰ الّتي تصيب الإنسان. ومنذ أسابيع قليلة كان نيتشه كذلك في "بايروث" وقد شفي في الوقت الرّاهن من لدغة الثّعبان، وسيشفي آلافًا آخرين.

إنّ آلة "الميدي[1]" والكنيسة اللاّتينيّة، يمثّلان الوصفة الطبيّة الّتي وصفها لنفسه. ألم يتجرّأ قبل بضعة أيّام علىٰ إرسال السيّد المنتصر قاصدا أيضًا نابولي: "هل أصبحت إيطاليا أيضًا

أرض البدايات"، ولكن نبدأ ماذا؟ عن سنّ الثّلاثة والسّتين. لا إنّه نيتشه الّذي سوف يبدأ. لقد كانت ألمانيا بالنّسبة إليه مرحلة دراسة طويلة، كان الأمر يتمثّل بالنّسبة إليه أن لا نتعلّم حتىٰ نتعلّم من جديد، أن نتحرّر، أن نكون أحرارًا.

---

١ الميدي: بروتوكول اتصال وتنسيق موسيقي، ويستخدم للتّواصل بين الأدوات الإلكترونية.

لم يعد الإنسان قبل كلّ شيء كائنًا عالمًا أو كائنًا دينيًّا كما كان يعتقد منذ قرون، ولكن بكلّ بساطة كائنًا حيًّا. وهذا يعوّض في رأسه المسكين خوفه القديم من الموت نتيجة لخوفه المتجدّد من عدم العيش بما فيه الكفاية. إنّ وقتنا هو ذلك المرور من حالة نفسيّة متردّية إلىٰ حالة نفسيّة جديدة. من هنا تكمن مأساتنا، وهي فوضانا الواضحة.

وقد كان دور الفنّان يكمن في منح الإنسان مواضيع أكثر قوّة للتّدريب من مواضيع الماضي. لذلك ليس هناك جدوىٰ في مراجعة علىٰ ضوء نفسيّة مقبولة، ومتفهّمة، ربّما متحمّسة عن الوجوه الغامضة والأرواح العنيفة ممّن سبقونا. فلنكن مثل الشّعراء المتبصّرين في صمت.

فلنكن مرضىٰ إن لزم الأمر لأنّ هناك أخلاقًا للمتعافين، وأخلاقًا للمرضىٰ. المرضىٰ هل يقال يومًا أنّهم ليس لهم الحقّ في أن يكونوا متشائمين، أو لأنّ المتعافين هم أكثر من يفكّر في الموت ومن يخافونه. وهذا منطقيّ. نيتشه الّذي كان طيلة أعوامه الخمسة عشر المهمّة في الإبداع باحثًا حدّ الموت عن المعنىٰ الحقيقيّ للحياة. الفضل الّذي وهبه إلىٰ الفنّان هي القوّة التّي تجعل أوجاعه موضع نقاش متخلّصًا منها حين يصبّها بشكل مّا. نيتشه المريض قام بذلك وهو يبحث عن الحياة فيما قام بها تولستوي المتعافي وهو يبحث عن الموت.

ذات ليلة ظهر نيتشه ثانية في صالون الفندق وعرض علىٰ السيّدات التجوّل في أنهج مدينة "جنوة" الّتي لم يرها أبدًا. لكنّه كان في مدرسة

المؤرّخ والنّاقد "جاكوب بوركهاردت"[1] يعرف هندسة هذه القصور، القصور الكبيرة للتّجار السّعداء، ويتعجّب من التّفكير الّذي جعلها واسعة جدًّا، صلبة جدًّا، وجميلة. ليس كذلك بالنّسبة لهذه الطّبقة الأرستقراطيّة المتنافسة، بل هي تعبير رائع عن ذوقها في الحياة؟

هذه المنازل تعلن أنّ لديها معنىٰ الخلود، أن تبني يعني أنّك تؤكّد أنّك تعيش بقوّة. سكّان "جنوة "عاشوا ورغبوا في البقاء علىٰ قيد الحياة. أن تبني هو انتصار العقل علىٰ المادّة. ويمكن أن نرىٰ أكثر، وإلىٰ أيّ حدّ حسب قول نيتشه أنّ المادّة غير موجودة.

كان مفتونًا بالمتاجر المتلألئة في محلاّت المجوهرات "للفيلا دلي أوريفيشي" مسرورًا بين الحشد، سعيدًا بلمس هذه الحقائق المعروضة والمتواضعة. اشترىٰ بروش لأخته، وتحصّل علىٰ إجازة من البارونتين بطريقة مهذّبة راقية، أضافت فكرة أكثر لطفًا عنه، وبعد بضعة أيّام عن طريق البحر اتّجه نحو "سورنتي".

---

١ جاكوب بوركهاردت: مؤرّخ سويسري في مجال الفنّ والثّقافة (٢٥ ولد في ماي١٨١٨) توفّي (٨أوت١٨٩٧) هو أحد روّاد التاريخ الثقافيّ.

المرفأ الملكيّ في "سورنتي"

في "سورنتي"[1] كان نيتشه ضيفًا لفتاة ألمانية مسنّة متخصّصة في "فاجنر"، هي فتاة اشتراكيّة، مثاليّة، لا تؤمن بالحدود بين الدّول، من الأشخاص الطّيبين الأذكياء السّذّج، كما كنّا نرىٰ في زمن الدّروع وأوّل قصص "بيار لوتي"[2] في تلك المدن الّتي كنّ يسمّينها "مدن الفنّ والشّعر".

كانت "مالويدا دو مايزنبورغ" تملك الإحساس بالرّاحة وعبقريّة الصّداقة. قدمت لتتسوّغ فيلا "روباتشي" لقضاء فصل الشّتاء. وتستقبل بعض الأصدقاء، وتعيش علىٰ مقربة من "فاجنر" الّذي أقام أخيرًا في فندق فيكتوريا علىٰ بعد خمسة دقائق من مكانها.

إنّ فيلا "روباتشي" هو منزل بسيط ومضيء. معبّد ومحيط بشرفتين تطلّ أحدهما علىٰ ملعب جولف، وجزيرة إيشيا[3]، نابولي والفيزوف[4]. والشّرفة الأخرىٰ تطلّ علىٰ جدار لأحجار جافّة، وحطب ليمونة من الجبل القريب. "مالويدا دو مايزنبورغ" تسكن الطّابق، وهؤلاء السّادة في

---

١ سورنتي: مدينة ساحليّة في جنوب غرب إيطاليا، تقابل خليج نابولي في شبه جزيرة سورينتو.

٢ بيار لوتي: كاتب فرنسي وضابط بحري.

٣ جزيرة ايشيا: جزيرة ايطالية.

٤ الفيزوف: جبل له طبيعة بركانيّة في ايطاليا طوله ١٢٨١ متر ، بركان دائم الاشتعال منذ مئات السّنين.

الطّابق السّفليّ. أوّل الرّجال المعزولين لهذا المرفأ الملكيّ الّذي تديره فتاة مسنّة

في ضواحي نابولي هم ثلاثة: فريدريك نيتشه، والطّالب الشّاب "ألبار بروني"، و"بول ري"[1] يهوديّ دكتور في الآداب، فيلسوف مهذّب، كان منذ مدّة صديقًا معجبًا بنيتشه حيث قام بفكّ شفرة المخطوطات ونسخها بكفاءة.

كنّا نعيش في جوّ جماعيّ مثقّف، كلّ علىٰ حدة. النّوافذ مفتوحة علىٰ المظلاّت والبحر. الصّباح مكرّس للعمل والتّأمّل. نيتشه يستيقظ منذ السّاعة السّادسة صباحًا، ويبدأ مباشرة في العمل. مع منتصف النّهار يتمّ تناول الغداء معًا. بعد الظّهر يستحمّون في بعض الأحيان معًا، أو كلّ واحد علىٰ انفراد حسب مزاجه (عادة لمدّة ثلاث ساعات). في المساء وبعد العشاء قراءة بصوت مرتفع حيث تعهّد بذلك "ري".

إنّ الاتصال الأوّل مع الجنوب عادة ما يجلب لنيتشه فرحة عميقة وأمل كبير. فلم يكن لديه القوّة الكافيّة للشّمال تلك البلدان حيث النّفوس مصطنعة وبطيئة، خالية من القواعد، محفوفة بالحذر. ولكن دون شكّ هل سيكون لديه روحًا للجنوب. فقط يبدو له الآن أن يتنفّس بعمق وسهولة ليجد مرّة أخرىٰ هذا الحزن الفكريّ الّذي يمثّل أعلىٰ درجات الخلق. وبالرّغم من الإعاقات الجسديّة والصّداع النّصفيّ وحالة التّقيؤ

---

١ بول ري: فيلسوف وطبيب ألماني ولد (٢١ نوفمبر ١٨٤٩) وتوفّي (٢٨ أكتوبر ١٩٠١).

الّتي تأخذه في غرفته أحيانًا أيّامًا كاملة، كان واع بقوّته. وأكثر من ذلك واع دون شكّ أنّ علىٰ بعد مائة خطوة من منزله هناك "الآخر" يعمل أيضًا، المعلّم، العدو. هذا العجوز "فاجنر" الّذي يحبّ ويكره، هذا الوحش العجوز هو من الصّنف الآخر من الرّجال من صنف المنتصرين والقراصنة لا يمكن قهره. كانا مشدودين الواحد نحو الآخر. كانا الصّديقين الخصمين يتجوّلان في بعض الأحيان معا، ممتلئين بالفخر المتبادل، وبالكبرياء. مركّزين، مستعدّين للقتال، محمّلين بكهرباء معاكسة.

كان "فاجنر" يستشعر مسبقًا كلّ الأشياء الّتي كان سيلومه عليها تلميذه المولع به مثل نضوب أفكاره، وتدنّي نجاحاته وتراجع فنّه الّذي أصبح يتّسم بالشّهوانية. أمّا الفتىٰ الصّارم ينظر إليه بنظرة باردة متسائلًا بكلمة جافّة وعميقة تخلع الملحد "تريبشن"[1] الأخير الّذي صار منذ وقت قصير فارس المسيح. ما قيمة إيمانك أيّها العجوز؟ أين أسلحتك الرّوحيّة أيّها المنشقّ؟

ذات ليلة قبل رحيل الملحّن نحو ألمانيا. كانا نيتشه و"فاجنر" جنبًا لجنب في آخر فسحة الّتي لن يعودا إليها مثل عديد من الأشخاص الآخرين لمدّة سبعة أو ثمانيّة سنوات الأخيرة، بالتّأكيد هما لا يشكّان

---

١ تريبشن: منطقة في مدينة "لوسنر" في سويسرا.

كلاهما بأنّ هذا اليوم الجميل الخريفيّ سيمرّ دون أن يتحدّثا ممتلئًا بالذّكريات مثل هؤلاء العشّاق الّذين وصلوا إلىٰ أقصىٰ حدود شغفهم، ودون أن يفصحوا هم يعرفون أنّهما لن يتمكّنا من الذّهاب أبعد من ذلك. يركضون علىٰ الخليج ليتسلّقوا من خلاله غابة الصّنوبر إلىٰ بعض الأماكن العالية. ومن هنا ينظران من بعيد إلىٰ البحر. قال أخيرًا "فاجنر" بصوت منخفض:

– "مناظر طبيعيّة لائقة بالوداع". ثمّ كأنّ ساعة الاعتراف الّتي لا مفرّ منها قد حانت.

يتحدّث عن "برسيفال"[1] وليس مثل عمل فنيّ. ولكن مثل تجربة دينيّة حقيقيّة. لم يعد تتعلّق بالموسيقىٰ، ولكن بالتّوبة والتّكفير بالذّنب لم يعد الفنّ الحياة، ولكن من فضل موت جميل وغفران تتحصّل عليه بعمل مثاليّ في التعويض عن خطاياك.

تغرب الشّمس وتختفي في الأفق بينما يفسّر مطوّلًا الرّجل الصّغير المشهور أمام الرّجل المجهول النّحيل حامل النّظرة المربكة الذّكيّة. ماذا يخفي بين انسيابه في الكلام؟ خوفه من يوم الحساب؟ أو من مصالحته مع الكنيسة؟ مع القوىٰ الإلهيّة الّتي تحكم ألمانيا الجديدة؟ فلماذا إذن يفكّر نيتشه، دون ذلك لأن اختياره يمكن أن يجعل السّلطات العامة تذهب أخيرًا في دعم الموسيقي والشّعر الّذي قرّر في السّاعات الأخيرة تجاوز

---

١ برسيفال: هو دين غير مرغوب فيه أو بديلا عن الدّين.

الصّليب؟ نيتشه لا يستطيع الإجابة، وقال الآخر: -"تعال يا صديقي، لمَ لمْ تقل لي شيئًا".

حقًا، لا شيء، صمت، وكتب على مفكّرته: "لست في وضع يخوّل لي التّعرّف على قوّة غير صادقة مع ذاتها، أن تقوم تجاه نفسك بأدوار كوميديّة شيء يثير اشمئزازي، ولكنّ "فاجنر" في هذه الدّقيقة هل هو ممثّل؟ لا دون شكّ، هو فريسة لشعور يعرفه أناس معيّنون. فجأة طغى عليه شعور بالخطيئة. كان الألم يصعد إلى فمه بطعم مرارة شديدة. وعقيدة "بارسيفال" تمنحه ذلك.

نيتشه واقف دون حراك، مثير، يبتسم في تعال. هذه المرّة لجثّة صداقته الأكثر شغفًا، فلا ندم يلدغ قلبه، بالكاد تأسّف لكلّ مّا خسره طوعًا، ولكن يجب أن نعيش للحقائق الجديدة نحارب معاناة الألم المروّعة، حدّة العدم، القيّم المزيّفة الّتي كرّسها "فاجنر" لموهبته وقوّته. هل سيكون من الصّعب هذا الكريستال الّذي لن يوجد فيه خطأ ضدّ الرّوح أو ضدّ الحبّ أن يشوّه. لم يكن "لفاجنر" ونيتشه أن يروا بعضهما ولو لمرّة أخرى. لعلّ نيتشه لم يحب "فاجنر" أكثر ممّا كان قبل فراقهما. لقد كتب في وقت لاحق: لحظة الوداع الأخير حين نفترق كان الشّعور والحكم لا يلتقيان، هذا يعني أنّنا نقترب أكثر ونضرب عرض الحائط الطّبيعة الّتي ترتّب الأشياء بيننا، والآخر الّذي نتركه. أكمل الأربعة المنعزلون في منزل "روبيناتشي" أعمالهم، قراءاتهم ونزهاتهم. يأخذون

علىٰ التّوالي "شامفور"، "ديديرو"[1]، "ستندال"[2]، "ميشلي"[3]، "ثوسيديد"[4]، و"الإنجيل الجديد".

كان إنجيل "سان ماتيو" يمسّهم كثيرًا (الإنجيل الجديد دون شكّ نادرًا ما أعطىٰ الفرح للملحدين)، هكذا كتب الشّاب "برينر" لوالديه. ولكن هذا يخصّ المتعة الجماليّة.

ذهب "ملويدا" للبحث عن صورة "لسان دوفنشي" فيما قال نيتشه عن يسوع أنّه كان أعلىٰ النّفوس البشريّة حيث رفض عقيدته محذّرًا من الأخلاق الّتي تثير الضّعف منجذبًا نحو الإنسان الّذي لا يقهر. هذا الوجه الملمّح يلاحقه بجدّية هناك يجد والده وأسلافه،

طفولته المتديّنة، كلّ هذه الأجيال البريئة الّتي تنادي للسّلم سوف يتحرّر منها علىٰ شرف الحقائق الرّوحيّة.

لقد كان مشروع نيتشه القديم هو تأسيس دير علمانيّ صغير للمثقّفين هاربًا من الوحدة غالبًا مّا كان موضوعًا علىٰ السّجاد. نشرت الآنسة "ميزنبورغ" "ذكريات فتاة مثاليّة" بالتّأكيد هؤلاء السّادة غزوا عن طريق هذه الفتاة الاشتراكية ابنة الوزير صاحبة الثّمانيّة والأربعون سنة، الّتي كانت تعرف أصدقاء "جوته" و بقيت دائما حسب ما قال

---

١ دنيس ديدرو: كاتب و فيلسوف ولد (٥أكتوبر١٧١٣) وتوفّي (٣١جولية١٧٨٤).

٢ستندال: كاتب فرنسي (٢٣جانفي١٧٨٣) وتوفّي (٢٣مارس١٨٤٣).

٣ميشلي: هو مؤرّخ فرنسيّ ولد في (٢١أوت١٧٨٩) وتوفّي في (٩فيفري١٨٧٤).

٤ثوسيديد: سياسيّ ومؤرّخ يوناني ولد٤٦٠ قبل ميلاد المسيح.

"دانيال هالفي"[1] (وفيّة لعبقريّة المرأة الحقيقيّة). دون أن يكون ذكاءً خارقًا، هي امرأة رقيقة وشجاعة لطيفة في كلّ شيء. يحبّها الجميع وكان من المرح أن يفاجئونها، ويبعثرون أفكارها. ولكنّ نيتشه بلباقة يمتنع عن قراءة أوراقها، فبالنّسبة لبعض الرّجال الرّائعين قد يستحون من الذّكاء، وعلىٰ وجه التّحديد حين يكون متفوّقًا، فهم يخجلون أن يكونوا أقوياء.

لم يكن ذلك إلا بعد رحيل "ري" و"برينر"، فعلًا بينما كنّا نسير في أيّام زفاف الرّبيع الجميل، سلّم نيتشه مضيّفته العجوز بعض الوثائق لمخطوط عمل يحمل هذا العنوان (إنسانيّ، إنسانيّ جدًا) كتاب للعقول الحرّة بأيّ رقّة كانت تكتب، وبأيّ أناقة كان نيتشه يلهمها، بمزاجه الرّائق الّذي يؤثّث ذكائه المدمّر.

مدمّرة، هكذا قالت معربة عن اعتراضها منذ البداية مثلما قام به عديد من الأشخاص بالوقوف ضدّ أكبر المهندسين المعماريين أصحاب السّعادة الّتي أنجبتهم الإنسانيّة، حين قرأت إحدىٰ قواعد في الحياة الّتي كان يحلّلها نيتشه علىٰ كراسه.

- يجب عليك أن لا تحبّ أو تكره النّاس.
- عليك أن تتخلّىٰ عن السّياسة.
- لا تكن غنيًّا أو معوزًا.

---

١ دانيال هالفي: مؤرّخ فرنسيّ ولد في (١٢ ديسمبر ١٨٧٢) وتوفّي في (٠٤ فيفري ١٩٦٢).

- عليك أن تتجنّب طريق أولئك اللاّمعين والأقوياء.
- عليك أن تختار امرأة خارج المجموعة.
- عليك أن تترك تربيّة أطفالك لأصدقائك.
- عليك أن لا تقبل الاحتفال في الكنيسة.

"لا تنشر هذا... انتظر... فكّر". تصرخ الفتاة العجوز.

ولكنّ نيتشه يبتسم لأنّه مثل كلّ الّذين يكتبون يرىٰ أنّ كتابه يمشي في ثنايا العالم يبحث عن قرّاء، يشتعل بالوجوديّة. يبعث الخوف أو المتعة. كان يرىٰ كتابه يتحرّك في كلّ مكان. يثير أفكارًا ويملي أفعالًا ترتبط بحياة الآخرين، وتساهم في كلّ مّا يحدث وبفضل ذلك صارت حركة، فكلّ هذه الأفكار المكتوبة تحت مظلّة في فيلا "روبينتشي" لها أهميّة خاصة في عالم الخلود الحقيقيّ، فهي الحركة الّتي تأخذ الإنسان لمرّة واحدة في سلسلة الإنسانيّة الكاملة كما تأخذ وتحجز حشرة في العنبر، لتصبح أبديّة.

خُصّص الكتاب لذكرىٰ وفاة "فولتير[1]". وكذلك لأوّل أزمة كبرىٰ لنيتشه في التّحرير الفكريّ. قال فيما بعد أنّ كلّ جملة هي انتصار "انتصار علىٰ الرّومانسية، علىٰ المواقف المثيرة للشّفقة علىٰ المثاليّة " نقطة ضعف نيتشه. بهدوء يقوم بفحص كلّ خطأ قابع في الجليد وغير متداول أكثر من أن يكون متجمّدًا. حين طبع الكتاب أرسل منه نسخة إلىٰ "بايرويت" الّذي تقاطع مع كتيب "بارسيفال" حاملًا هذا الإهداء (إلىٰ

---

١ فولتير: أديب فرنسيّ ولد في (٢١نوفمبر١٦٩٤) وتوفّي في (٣٠ماي١٧٧٨).

الصّديق العزيز فردريك نيتشه مع التّمنيّات الوديّة الفاخرة). "ريتشارد فاجنر" مستشار كنسيّ.

انتفض نيتشه، هذه إثارة لقد كانت نقرًا على السّيوف من طرف (هنديك)[1]، و(سيغموند)[2] في ضباب (والهال)[3]، مبارزة مع (وتان)[4]، والفأل المستعصي لموت الآلهة الزّائفة.

****

١ هنديك: فراندر هنديك أحد الأبطال في العصور الأولىٰ عرف بضرب السّيوف في الحرب.

٢ سيغموند: هو سيغموند فرويد طبيب النفس المعروف.

٣ والهال: في الأساطير الإسكندنافيّة المكان الّذي يتمّ إحضار المقاتلين المتوفّين الشّجعان

٤ وتان: محارب وفاتح في الأساطير الاسكندنافيّة الشّمالية، وهو يمثّل السّلطة والقانون.

موسيقى البندقيّة

نيتشه لم ير إيطاليا مرّة أخرىٰ منذ شهر مارس منذ ثلاثة سنوات من سنة ١٨٨٠. ومن جديد يرافقه مسافر آخر صحبة ظلال أخرىٰ. أكبر المرضىٰ، بروح أكثر استقرارًا، أكثر صفاءً، أكثر قوّة. فقد ظهر الشيب في شعره خلال هذه السّنوات الثّلاثة الأخيرة (ستّة وثلاثون سنة)، ضعف جسده، وتضاءلت حظوظه من كل الطّموحات الّتي كان يرغب بها، (أحبّ استعمال كلمة "حظوظ" للّذين لا يملكون شيئًا)، حقّا لقد تخلّىٰ عن مهنة التّدريس نهائيًّا. كان يعيش في مبيت صغير في جامعة "بال" حرّ ومهمل. لقد أحسّ بأوجاع جسديّة شديدة، تأمّل كثيرًا وعمل. وتمكّن من الكتابة إلىٰ الآنسة "مايزنبورغ": (لقد تألّمت كثيرًا، وتنازلت عن كثير من الأشياء، وهذا ليس زهدًا منّي في هذه المرحلة من الحياة التّي ليس لي أن أقارنها بالحياة في هذه السّنين الأخيرة. حيث كسبت الكثير. روحي كسبت من النّقاء والصّفاء. لذلك لست في حاجة إلىٰ الدّين، أو إلىٰ الفنّ. يمكنك أن تلاحظ كذلك أنّي فخور حين تخلّيت عن كلّ ذلك بعد أن تمكّنت من اكتشاف مصادر الحزن داخلي.

من المعلوم أنّ مدينة البندقيّة هي مدينة الحبّ، كان تأليف "ترستان"[1] بالنّسبة إلىٰ "فاجنر" هو نتاج شعوره الموجع بالألم بسبب

---

١ تريستان: مقطوعة موسيقية ل "فاجنر."

انفصاله عن "ماتيلد فيسندونك"[1]. وقد كان لنيتشه هذا المكان المناسب في فترة نقائه.

فهي ليست بالأحرىٰ مدينة للفنون بل مدينة الجمال وبالنّسبة لكثير من النّاس لها تمرين أدبيّ جميل مرسوم لغروب الشّمس، سيمفونيّة برّاقة في المياه الميّتة تعكس شهامة علىٰ طريقة "كازانوفا"[2]. بالنّسبة لنيتشه الّذي قد هرب من سجنه البيداغوجيّ، ولم تكن البندقيّة إلاّ مدينة للصّمت والتّأمّل الحرّ. مدينة المائة عزلة عميقة كما يقول " أورور" بالنّسبة إليه دون كنائس، دون تيابولو[3] تانتورات[4]، دوق[5]، جسر التنهّدات، ودون الإثارات الصّغيرة لستندال[6] أو متسكّع يستولي علىٰ المارّة في الشّارع، ولا كرنفال للقرن الثّامن عشر. هذا الفنّان لا يثيره إلا لذّات الفكر المتدفّق من موسيقىٰ الكلمات. (ولاحظ أنّه غير معاديًا بأيّ شكل من الأشكال للمتعة أو النّساء)، لا يدخل بتاتًا إلىٰ أيّ متحف، فمعاهده الموسيقيّة تظمّ

---

١ ماتيلد فيسندونك: صديقة فاجنر.(1828-1902)

٢ جاكومو كازانوفا: (٢ أبريل١٧٢٥ -٤ يونيو١٧٩٨) مغامر ومؤلف إيطالي، وُلد في البندقية، وتوفّي في دشكوف ويُعدّ من أشهر العشّاق (صاحب علاقات متعدّدة مع النّساء). هو ابن الممثلة زانيتا فاروسي زوجة الممثل جوزيبي غايتانو كازانوفا حصل علىٰ دكتوراه في القانون وهو في سنّ السّابعة عشر، له تجارب مع النّساء وصل عددها إلىٰ٥٦٥ أنثىٰ، وانتقل إلىٰ بلدان عديدة باريس وبرلين وبودابست ومدريد شاعرًا في بلاط الحكّام.

٣ تيابولو: رسّام من البندقيّة.(1696-1770)

٤ تانتورات: رسّام من البندقيّة ولد١٥٩٤.

٥ دوق: أوّل قضاة البندقيّة وهو يسيّر الحياة داخلها.

٦ ستندال: كاتب فرنسي.(1783-1842)

الأحلام المنتهية للطّموحات المنتهكة. فهو لا يتذوّق إلا الحياة. إنّه يكرّس

نفسه لإسعاد الرّجال الذّين يصعب عليه دون أن يراهم إعطائهم التّبرير الرّوحيّ للتقدّم. فهو يريد أن يجعلهم أكثر حريّة، أكثر وعيًا، أكثر فرحًا. أكثر إنسانيّة، وأقلّ خضوعًا، وتحريرهم من أصنامهم وإعادتهم إلىٰ ذاتهم. وتخليصهم من أخلاقهم المزيّفة وأحكامهم الاجتماعية السّائدة. "نحن اللاأخلاقيين الآخرون" هكذا كان يقول بفخر شديد. كما كانوا يوبّخونه علىٰ هذه الكلمة، هذه العفّة، هذا التمنّع، كم أنت فقير لتنفق أموالك في الخمر والنّساء.

علىٰ "الفودامنت نوفو[1]" يستقرّ نيتشه في القصر القديم لبرلوندیس، بطريقة غريبة حيث يسكن صالة مرصوفة بالرّخام. هي جولة خاطفة بعشرين دقيقة في "سان مارك" بالأزقّة الصّامتة، دون غبار أو شمس. إنّ ظلّ البندقيّة نعمة رائعة لعينيه وفكره. كانت المسرّات مستمرّة، فالكتاب الّذي يعمل عليه "أورور"[2] يحمل هذا العنوان منذ فترة طويلة :

"أومبرا دي فينيزيا". كانت حياته منظّمة بدقّة شديدة، أوقات العمل من السّاعة السّابعة أو الثّامنة، ثمّ نزهة، وجبة مقتصدة، علىٰ السّاعة الثّانية

---

١ الفودامنت نوفو: رصيف طويل في مدينة البندقيّة.

٢ بدأت مسودات "أورور" الأولىٰ في ربيع ١٨٨٠ في البندقيّة. تمّ جمع هذه المحادثات تحت عنوان "مبرا دي فينيزيا" وكانت بمثابة الأساس لمجلّد .

والرّبع يأتي الصّديق العزيز من أصدقائه النّادرين، ذلك الصّديق الّذي دعاه إلىٰ البندقيّة، شديد الإخلاص إليه "بيتر جاست"[1].

"كم من الدّموع سأمنح لسوء حظّك؟"

كان اسمه الحقيقي "كوزيليست" نجل مالك ريفيّ بروسي. موسيقارًا بوهيميًّا رحل من "بال" حيث كان إحدىٰ تلاميذ نيتشه. نذر للتكوين ولم يحصل علىٰ أيّ مستوىٰ. لفترة طويلة كان نيتشه الوحيد الّذي أعُجب به. فكلّ ما يحبّ ويعرف نيتشه، يعرفه "بيتر جاست".

ما كان إلا "بيلاد" لهذا "أورست"[2] الّذي كان يعانقه ويحترمه كما كان يفعل الآخر. وكم من الوقت أعطىٰ "جاست"، فقد كتب تحت إملاء صديقه، ووضع ملاحظاته بوضوح ناسخًا مخطوطاته، حذرًا من هشاشة صحتّها. فهي مليئة باللّباقة والحذر، وقد بدا حريصًا علىٰ أن لا يزعج الشّخصيّة المتقلّبة لنيتشه علىٰ أن لا يضغط علىٰ هذا الشّخص شديد الذّكاء والعصبيّة في آن واحد. فقد كتب ذات مرّة "لو كان لحياتي معنىٰ، سيكون من خلال الاهتمام النّشط الّذي أخذته من نيتشه"، وبالتّالي فليس لها معنىٰ إلا من خلال ذلك.

وصل "بيتر جاست" علىٰ السّاعة الثّانيّة والرّبع، قام بتمرين في الإملاء نحو ساعة وربع، ثمّ قام بنقاش، وقراءات. ومرّة أخرىٰ

---

١ بيتر جاست: أكثر الأصدقاء المخلصين لنيتشه.

٢ "بيلاد" و"أورست": صديقان تحدّثت عنهما الميثولوجيا الإغريقية، وباتا مثلًا لذلك.

ظلّ يعمل إلىٰ حدود السّاعة السّابعة والنّصف، حيث يتناولا العشاء بيضةً مسلوقة، وكأس ماء. وغالبا ما يعود "جاست" ثمّ يلتقيان ليتناوبا علىٰ البيانو عازفًا نيتشه ومرتجلًا مؤلّفاته الخاصة علىٰ طريقته الجافّة والمتمكّنة. كان "جاست" يجرّب دون تعب الشّاعر الوحيد الّذي خلّصهما الاثنان من "فاجنر" وأعادهما لممارسة السّادة القدامىٰ لأنقىٰ التّقاليد الموسيقيّة: ألا وهو "شوبان"[1].

في سورينتو، استمع نيتشه إلىٰ موسيقىٰ بيتهوفن كثيرًا، فقد كان كثيرًا ما يقصد صباحًا غابة السّرو، والورود البريّة الّتي ملأته بالانسجام مع "سيمفونية الارجريتو"[2] في الوسطىٰ. في البندقيّة، لم يكن يحبّ إلا "شوبان" لأنّ هناك قرابة بين روح "شوبان" ونيتشه. في هذين المريضين، في هذين العفيفين العاطفيين، في هذين الشّخصيتين المعزولتين في كلّ مكان في المنفىٰ يهتزّ في انسجام دراميّ لسعادة الحياة. أضيف: متعة الخلق في الشكّ يمكن لنا أن نقول هي متعة الألم بطريقة نبيلة، وأن يكون واثقًا فيفضّل صّرخات قصيرة لكلّ بسيط وجديّ في انتصار مستغلّ بطريقة جيّدة.

---

١ شوبان: هو فريديريك فرانسوا شوبان مؤلف موسيقي وعازف بيانو مبدع من أصل فرنسيّ بولندي، ولد عام ١٨١٠ في سيلازوفا وولا علىٰ أراضي وارسو، وتوفّي ١٨٤٩ في باريس.

٢ سيمفونية الارجريتو: السيمفونية السّابعة لبيتهوفن في ١٨١١.

كان "جاست" يرغب في نشر كتاب على "شوبان". فيما قام "ليزت" بنشر كتاب آخر، علينا أن نقتنع أنّه سيّء ورديء. (إنّه في الواقع جزء مهمّ من الرّيشة العريقة للأميرة العجوز "ويتجانستين"). كان لجاست إحساس أنّ هناك شيئًا آخر يمكن أن يقال، حيث دوّن مائتي صفحة من الملاحظات، دون شكّ لقد ساعده نيتشه في هذه الرّسومات، وعلينا أن نشجب أنّها بقيت غير منشورة، لأنّ ليس له أن يقول أشياء خفيّة بشكل كبير عن عبقريّة قريبة جدًّا منه بطريقة مأساويّة. ولكن غالبًا ما تكون أجمل الأفكار حين تلمس بعض الكائنات السّامية، كما كان يقال سابقًا أنّها تضيع في الوهم.

في البندقيّة كتب "غوته" في أثره الأدبيّ (في رحلة إيطاليا قد كُشِفَ لي معنى الغناء لأوّل مرّة)، هذا خصوصًا بالإعجاب الشّديد عند الاستماع، لذلك نستطيع الاعتراف أنّ البندقيّة كانت بالنّسبة لنيتشه تمثّل وحيًا موسيقيًّا فريدًا من نوعه، هي مدينة المائة عزلة عميقة، مدينة المائة موسيقى من الرّوح. فيما "تريستان" في قصيدة لنسيان العالم، ولد في البندقيّة، مثل قمّة النّسيان عند "مانفراد دو بيران"[1]. وهذا هو كلّ ما يمكن لنيتشه أن يفهمه أكثر من أيّ شخص آخر مثل رائحة النّسيان والموت. والتحلّل في هذه المدينة

[1] مانفراد: دراما شعريّة كتبها جورج بيران نشرت١٨١٧.

الصّناعيّة الّتي تهتزّ أسسها تحت وطأة المياه الثّقيلة. فكأنّ القلب هنا مضرّج بالعشّاق الّذين لم يتمكّنوا من إطلاق غير إنذار صامت من الذّبول والتنهّد من القرون، وهذا تذكير متواصل بعزلة الإنسان.

تحتلّ "تريستان" موقعا استثنائيًّا في أعمال "فاجنر"، ومن ناحية أخرىٰ تقع تقريبًا خارج إلهامه المعتاد. لأنّ تأثير المكان شحن تلك الصّفحات اليائسة بلهجة حميمة لا نجد لها درجة مماثلة في الدّراما الأسطوريّة الّتي يكتبها حيث أطلق عليه فيما بعد (وضع البندقيّة الرّائعة في الموسيقىٰ).

في كتاب "أورور" وضع نيتشه بندقيّته الرّائعة للموسيقىٰ. المدينة الّتي تسكن داخله ومن ضمن الملاحظات الّتي كتبها أثناء جولته أو محطّاته في المقاهي حيث تُسمع في كلّ مكان مثل أغنية جديدة. وهذا ما لم يحدّده حتّىٰ الآن في نثره وانتشر في علاقات عميقة تدعم الفكر وتمدّده إلىٰ مناطق لا توجد فيها مناطق تقليديّة يمكن الوصول إليها،

تلك الموسيقىٰ الّتي ليست في حاجة إلىٰ كلمات. هكذا قال، وأعظم ميزة للفنّ الشّعريّ الّذي ينادي بالمفاهيم وبالتّالي يصطدم بالفلسفة والعلم. لكنّنا لا نلاحظ شيئا حين تبعدنا الموسيقىٰ عنهم. تقودنا، وتغوينا. دعنا نقول أنّ الموسيقىٰ في بعض الأحيان تظهر أنّ نيتشه أضاع الطّريق في كتاباته. و قد أضحىٰ هذا شيئًا غير مفهوم، فذلك لأنّ لحنه

يفتح أبوابًا أخرىٰ تتدفّق من خلالها نظرة نحو آفاق غير متوقّعة. فلنقرأ في "ايتشي أمو"[1] كلمة أخرىٰ للآذان الأكثر تميّزًا فيما تطلبه من الموسيقىٰ. قد تكون الفرحة العميقة مثل ظهيرة من شهر أكتوبر سواء كانت استثنائيّة، متحمّسة، لطيفة وبفضلها تصنع امرأة رقيقة وصغيرة.

لا يمكن أن أتصوّر أنّ ألمانيًّا يمكن أن يعرف ما هي الموسيقىٰ، ما نسمّيه الموسيقيين الألمان، والأهمّ من كلّ ذلك أنّهم أجانب سلاف، وكروات، وإيطاليين، هولنديين، أو حتّىٰ يهود. وفي حالات أخرىٰ من الألمان الأقوياء، من العرق المنقرض اليوم، مثل: "هنري شوتز" و"باخ" و"هندل"[2]. أنا مازلت أشعر أنّني بولنديًّا بما يكفي لأجعل كلّ الموسيقىٰ لصالح "شوبان". أنا أستثني "سيقفريد إيديل لفاجنر"[3] لثلاثة أسباب أحدهنّ دون شكّ تسمّىٰ "كوسيما"، ربّما أشياء أخرىٰ من "ليزت"[4] الذّي يتفوّق علىٰ كلّ الموسيقيين بلهجات نبيلة في توزيعه الموسيقيّ.

أنا مازلت أشعر أنّني بولنديًّا بما يكفي لأجعل كلّ الموسيقىٰ لصالح "شوبان". وأستثني "سيقفريد إيديل لفاجنر" لثلاثة أسباب أحدهم دون شكّ يسمّىٰ" كوزيما"، ربّما أشياء أخرىٰ من "ليزت"الذّي يتفوّق علىٰ

---

١ إيتشي أمو: تعبير لاتينيّ يعني "هذا هو الإنسان" أطلقه العالم "بيلات" في ترجمته للإنجيل.

٢شوتز و باخ و هندل: مجموعة من الموسيقيين الكبار.

٣سيقفريد إيديل: مقطوعة ألّفها فاجنر في سنة ١٨٧٠.

٤ليزت: هو فرانز ليزت موسيقار وعازف بيانو مشهور وُلد في (٢٢أكتوبر ١٨١١) وتوفّي في (٣١جويلية١٨٨٦)، وهو أب لتقنية عزف البيانو الحديث.

كلّ الموسيقيين بلهجات نبيلة في توزيعه الموسيقيّ. وفي نهاية الأمر كلّ ما تصوّره من جهة الأخرىٰ لجبال الألب. ومن هذا الجانب لا أستطيع تجاوز "روسيني"[1] وأكثر من ذلك النّصف في الموسيقىٰ للمايسترو "بيتر جاست". وحين أتحدّث من هذا الجانب عن جبال الألب أتحدّث بالأساس فقط عن البندقيّة. لأنّي أساسًا لا يمكنني التّمييز بين الدّموع الموسيقىٰ.

في الحقيقة هناك جاذبيّة في تأمّل كلّ هذه الأشياء اللاّ ملموسة. الأحلام الّتي نعيشها في قاعة الاحتفالات تمثّل وجه امرأة جميلة. تمثال يميل لمسافات متحرّكة يجعلنا نفكّر بكلّ سرور" أنّ هناك ما يكفي من الضّياء لن يتمكّنوا من الوصول إليه". وهذا مثل هنديّ يحبّه نيتشه حيث أدرجه في كتابه الّذي بدأ في حملته ضدّ الخرافات الأخلاقيّة، وبعد ذلك أضاف مرّة أخرىٰ تحت ملاحظة في السّيرة الذّاتية هذه الملاحظة "الوضوح التّام، والتّصرّف الهادئ، سأقول كذلك الوفرة الّتي تعكس روح هذا العمل الّذي يتوافق معي ليس فقط مع أكبر ضعف فسيولوجيّ، وزيادة في المعاناة....".

هكذا كانت البندقيّة دون "مندولين"[2] نيتشه. حتما ليس هناك شباب متلألئ، فليس لهذه الفلسفة أن تصبح مسيحيّة علمانيّة حين تذهب لتكون

---

١ روسيني: موسيقار ايطاليّ ولد في (٢٩ فيفري ١٧٩٢) وتوفّي في (١٣ نوفمبر ١٨٦٨).

٢ مندولين: آلة موسيقيّة وتريّة نشأت في إيطاليا، وهو عود صغير قصير العنق يستخدم في الموسيقىٰ الكلاسيكية.

صليبًا روحيًّا. كلّ حبّ هو مستقبل للإنسانيّة لكلّ تلميذ موسيقيّ فقير. نحن مازلنا بعيدين عن هؤلاء البندقيين المهمّين. "بيرون"[1] ممتع، مكتمل بشكل مفرط، والمتكبّر "شاتوبريان"[2]،والمتكبّر "مكيفيتس"[3] والجميل "موسات"[4] بلحيته المنسابة. وكذلك بصديقهم "باراس"[5] صاحب فتيل أسود على جبين عاجيّ مصّفرّ، يظهر حقبة زمنيّة من جيل كامل من الشباب الحرّ. بينما كنّا نستعمل لأوّل مرّة اللّباس الدّاخليّ على المقاعد في الرّوضة. كلّ هذه المناظر الخلاّبة الأدبيّة الرّائعة فقدنا بعضًا من بريقها حين كنّا نكبر.

اليوم هذه الظّلال شديدة العمق صارت شاحبة. هذه الطّموحات المتوحّشة تجعلنا نبتسم قليلًا، ونيتشه المتواضع، قليل الإحراج يحرّكنا أكثر بطريقته السّرّيّة وتبصّره السّاخر. فالبندقيّة بالنّسبة إليه لم تكن إلاّ قاعدة يتسلّقها للوصول إلى موقف مّا. لا شيء غير فندق حيث يأخذ

---

١ بيرون: هو لورد بيرون شاعر انجليزي (٢٢ جانفي١٧٨٨) وتوفّي في (١٩ أفريل١٨٢٤). يُعدّ من أمهر الشّعراء في التّاريخ الأدبي الأنجليزيّ.

٢ شاتوبريان: كاتب ورجل سياسة ولد في (٤ سبتمبر١٧٦٨) وتوفّي في (٤ جويلية١٨٤٨)، يعتبر من أسلاف الرّومانسيّة الفرنسيّة، وأحد أكبر الأسماء في الأدب الفرنسيّ.

٣ آدم مكيفيتس: شاعر وكاتب بولونيّ ولد في (٢٤ ديسمبر١٧٩٨) وتوفّي في (٢٦ نوفمبر١٨٥٥) وهو يعتبر من أعظم الشّعراء الرّومانسيين.

٤ ألفراد دو موسات: شاعر في الفترة الرّومانسيّة، وكاتب مسرحيّ ولد في (١١ ديسمبر ١٨١٠) وتوفّي في (٢ماي١٨٥٧)، نشر أوّل مجموعة شعريّة له في سن التاسعة عشرة.

٥ موريس باراس: كاتب وسياسيّ فرنسيّ ولد في (١٩ أوت١٨٦٢) وتوفّي في (٤ ديسمبر١٩٢٣).

بضعة أيّام من المرح. كانت بالنّسبة إليه لحنًا روحيًا. ففي تقديم لأعماله الأكثر أصالة حيث ذكر فيما بعد في كتابه "هذا الإنسان": حين أبحث). عن كلمة لتحلّ محلّ الموسيقىٰ أبدًا لا أجد إلا كلمة البندقيّة

كنّا نتذكّر "فاجنر" ذات ليلة أرق حين كان يعمل في "تريستان"[1]، ذهب ليتّكأ علىٰ شرفة قصر "جوستنياني": (وبينما كنت أتأمّل البلدة العتيقة الرّومانسيّة بالبحيرات الّتي تتدفّق أمامي محاطة بالظّلّ. وفجأة ارتفع صوت أغنيّة من خلال الصّمت العميق، لقد كان نداءً عال من جندوليّ يراقب قاربه، فاستجابت القناة لأصدائه القادمة من مسافات طويلة. وقد لمست الأغنية الأولىٰ زمن الكأس، هذه المقاطع المعروفة تكيّفت حتمًا وصارت أكثر قدمًا من قنوات البندقيّة وشعبها....)

كانت آلهة الإغريق بالنّسبة لنيتشه بعد أكثر من ربع قرن تعيش معه اللّحظة الرّاهنة. كنّ يرغبن أن يحقّق الشّعر حالة توازن متواصلة بين شاعر المعاني، وشاعر الفكر. ونيتشه دون أن يعلم أنّ "السّاحر" فاجئ سرّ المدينة القديمة، حين كتب "لبيتر جاست" قائلًا: (كانت آخر ليلة لمّا حملتني مرّة أخرىٰ موسيقىٰ قادمة، حين كنت واقفا علىٰ جسر "ريالتو" ومسّتني تلك الموسيقىٰ حدّ النّزوع إلىٰ البكاء، شيخ مسنّ يمشي متمهّلًا بطريقة غير متوقّعة حتّىٰ أنّك تتصوّر أنّه لا يوجد شيخ أكثر بطئًا منه).

---

١ تريستان: فارس عرف ببطولته في العهد القديم.

هنا أين يمكن أن تكشف عن الفنّانين الحقيقيين الّذين يسمعون، ويرون خارج كثيرًا من الوقت الضّائع للإنسان، فيما آخرون لا يسمعون، ولا يرون، ولكن يغنّون دون أن يعرفوا في صمت وبمزاج غامض. هذا الشّيخ المسنّ الّذي فاجئ نيتشه في ليلة البندقيّة هو نفسه الّذي استوحاه "راسين"[1] الّذي واكب العشّاق في قاطرة إيطاليا. وحتّىٰ إن أخترق قلوبنا في يوم مّا سنبقىٰ مندهشين مثل ذلك الفيلسوف.

****

١ جان راسين: ولد في "لافيرتيه" في ميلن (آسن) في٢١ ديسمبر١٦٣٩. وفي سنّ الثّانية فقد أمّه، وبعد فترة قصيرة فقد أبيه. وقد ربّته جدّته "ماري دي مولان."

قديس "جنوفا" الصّغير

في العمل الأساسيّ الّذي كرّسه لنيتشه، كان "تشارلز أندلر"[1] يلاحظ أنّ الفيلسوف يقوم دائمًا باختيار رائع لأقامته، وهذا بالفعل لكثير من النّاس، فالدّيكور الّذي يعيشون فيه هو في حقيقة الأمر منفذا للولوج إلىٰ عالمهم الدّاخليّ. وهذا لا يمثّل إشكاليّة في حساسيّة الفنّ. ولكنّ الحاجة المّاسّة للذّكاء والرّاحة النفسيّة، والحاجة المطلقة للتّبادل بين الذّات والعالم. وقد يتمثل هذا المحيط الخارجي الّذي يتّسم بالحميميّة بالنّسبة للبعض في غرفة الجلوس، أو غرفة المكتب وقد تكون لهذا المكان أهمية تفوق أهميّة أيّ مكان آخر. أمّا البعض الأخر فنجده يبحث عن السّماء والأجواء الجميلة أو أجواء المدينة، أو حتّىٰ هدوء الرّيف.. كان لنيتشه ذوق رفيع تجاه الصّخور سواء كان ذلك في حالتها البدائيّة الخام، أو كانت مصقولة بطريقة فنيّة ومرصّوفة في هندسة صلبة.

لقد راقت له "جنوة" من ناحيّة هذا السّيّد البرجوازيّ المشدود، ودائم التعلّق بنبل المادّة. "جنوة" تعجب الأشخاص الّذين لهم ذوق تجاه الأشياء. لقد أحبّها "شوبان" هذا المتمكّن في الرّوحانيات. "بول

---

١ تشارلز فيليب تيودور أندلر: ولد في ١١ مارس ١٨٦٦ في ستراسبورغ وتوفّي في ١ أفريل ١٩٣٣ هو فرنسي ألماني، وأستاذ في اللّغات والآداب من أصل جرمانيّ في جامعة السّوربون.

فاليري" عاش هناك وذكر في هذا الصّدد: يا لها من مدينة فريدة ومتكاملة، لم تجد "كاناليتو"[1]، أو "جواردي"[2]، فيما "كورو"[3] قام برسم لوحتين صغيرتين ولا أحد قام باستغلال هذا المنجم الّذي لا ينضب من المياه الجارفة.

ودون شكّ من تعاطف هؤلاء المتعاطفين مع "جنوة" بسبب وضوح هندستها وبناء طوابقها هي "مدينة مرئيّة وواضحة ومألوفة دائمًا ببحرها، وصخرها، وسقوفها الحجريّة، ورخامها، المستمد دائمًا من جبالها " (بول فاليري_ مواضع).

عاد نيتشه في خريف ١٨٨٠، وأختار غرفة في سقيفة عالية في أعلىٰ شارع في "ساليت دال باتستين"[4]، حيث يسود هواء برائحة الملح، وعند النّزهات اليوميّة في الشّوارع العسكريّة حيث الطّرق المحيطة بأسس مسيّجة، تجد الميناء القديم المشبع بالرّوائح المسمومة. يطلقون عليه "كريستوف كلومبوس" أمريكيا الجديدة، أمريكا الدّاخليّة، أرض غير معروفة، كان يمشي خمس أو ستّ ساعات في اليوم، يتّكأ علىٰ الحائط،

---

١ كاناليتو: جيوفاني أنطونيو كانال ولد في البندقية١٨ أكتوبر١٦٩٧ ومات البندقية١٩ أفريل١٧٦٨عرف باسم "كاناليتو" رسّام البندقيّة المشهور.

٢ ويكي فرانشيسكو غواردي: (البندقيّة٥ أكتوبر١٧١٢ البندقيّة١ يناير١٧٩٣) يعتبر رسّامًا في القرن الثّامن عشر. مع "كاناليتو"

٣كاناليتو-جواردي-كورو: مجموعة من الرّساميين المشهورين.

٤ ساليت دال باتستين: شارع في جنوة.

يتمدّد في مرج أو علىٰ شاطئ البحر مدوّنًا ملاحظاته الّتي تزدحم فجأة بأجمل الأبيات الشعريّة. في ذلك الوقت تنفجر الإيقاعات والأفكار مضطربة، محفوفة بآلهة النّبيذ تهزّها نشوة وفرح حتّىٰ يحدث أنّه يرقص وحده علىٰ العشب علىٰ وقع موسيقىٰ أفكاره. فيعود بعد ذلك إلىٰ غرفة عمله منهكًا، لكنّه سعيد بعد أن أطلق النّار علىٰ أفلاطون وعلىٰ الله. وسكّان الحيّ الّذين يرونه دائمًا وحيدًا، وكتاب في يديه ومنديل علىٰ كتفيه، رجل حكيم جدًّا، جذّاب جدًّا، مهذّب جدًّا تجاه شخصياتهم الرّقيقة. كانوا يطلقون عليه: (القدّيس، القدّيس الصّغير). قدّيس صغير ألمانيّ عتيق، فقير للغاية. وممّا لا شكّ فيه إنّه يجلب الرّعاية الربّانيّة في المحلاّت التّجاريّة للبلدة. في بعض الأحيان كانوا يصنعون منه شمعة للإضاءة والتعبّد.

قبل نيتشه بقلب متواضع علامات الاحترام الحنونة "لا كحول، لا أمراء، لا مشاهير، لا نساء، لا صحف، ولا شرف" هكذا كان يكتب في دفتر ملاحظاته. فقط الحفاظ علىٰ الأفكار العليا، و في أحيان أخرىٰ أفكار عامّة النّاس، أحسن من رؤية عشبة كبيرة.

هل يمكننا نحن الفرنسيين في منتصف الثّلاثينات من العمر وحتّىٰ في سنين القادمة أن نكون أحرارًا، وداخل إيطاليا أن نعيش مثل هذه الحياة الزّاهدة المباركة ونبقىٰ فنّانين وشعراء نستنشق رائحة الورود، ونستمتع بثمرة كلّ شيء دون تذمّر، ونفهم أنّ البؤس جعل ليس لإغضابنا أو

إزعاجنا، بل لتغيره رغم أنّنا نعاني بشكل فضيع في أجسادنا، ونحصل فقط علىٰ طريقة واحدة أكثر تأكيدًا لنبقىٰ في صحّة جيّدة. أن نعشق السّماء الواسعة البكماء، البحر أبكم، الشّفق أبكم يجمع كلام الصّمت ليتحقّق أنّ "لا توجد حقائق إلا فرديّة". وأخيرًا لقد رفضنا كلّنا حتّىٰ نخمّن كلّ شيء بأكثر رقّة. تقريبا نحن لا نجرؤ للتخمين في ثرثرة بعض الزّملاء، رسّام قُبلَ بطريقة سيّئة أو سائح أمام صورة سيّد الفكر العظيم. صحيح جدًّا، مشرّف جدًّا، والأفكار تؤذي أو تخترق مثل الحقائق.

"كلّ حقائقي هي بالنّسبة لي حقائق تنزف" هكذا قال. ربّما هل ستصدّق أنّك ستصبح اشتراكيًّا. هذا مستحيل سوف نجد في عمل نيتشه منذ مرحلة "جنوة" ليس فقط الأكثر صرامة ضدّ مفهوم الدّيمقراطية. ولكنّ التّفكير الأرستقراطيّ الأكثر شبهة، ويبدو من الطّبيعيّ أنّها ارستقراطيّة فكر وليس بالضّرورة مّا تنتجه التّجربة أو المال. إنّ كتاب "علم الأنساب" الجديد يذهب إلىٰ أنّ المشاعر سوف ترتفع ببطء بالنّسبة إليه من القلب إلىٰ الفكر ليصل إلىٰ شغفه الوحيد المتاح للمعاصرين: شغف الواقع (باسيو نوفا). ولكن إن كان هناك شغف، أليس هناك حمّىٰ أو هذيان؟ الحقيقة أنّه لا يهتزّ في نوع من الحرارة الحسيّة، فهل نريد أن نمارس فعل المعرفة، أم فقط للفرح الّتي تمنحه المعرفة. فعّلا يلامس نيتشه آخر مشكلاته، وكما يقول السّيد"أندلر": (لن يؤمن بعد الآن). إنّ الذّكاء المتاح للتّفكير في الحقيقة، هو فقط لتحسين الغرائز لدينا. من هنا يبدأ فجره من هذه العشبة السّميكة من الأفكار المتدلّية من كتفه مثل

صندوق عالم نبات. أحيانًا يتحصّل على برتقالة وكذلك على تفّاحة، أيضا قطعة خبز ممّا يتكوّن غذائه، وهو يضيف ملاحظة على ملاحظاته. شديد الابتهاج بشعوره بالكمال، والمكابرة. كتب قائلًا: امنح، استرجع، شارك، كن فقيرًا، تعلّم كيف تكون متواضعًا حتّى تصبح في متناول الجميع، دون أن تذلّ أحدًا. تعلّم أن تجيد إصلاح أخطائك الكثيرة، أن تزحف للأكواخ تحت الأرض كثيرة الأخطاء من أجل الوصول إلى النّفوس البعيدة في طرقهم السّريّة. عش دائمًا في نوع من الحبّ ليس أقلّ من الأنانيّة، والمتعة بالذّات، لتكون ملكًا للإمبراطوريّة، وتعيش مختفيًا. كم كان مسيحيًّا هذا المسيح الدّجال، من أبيه القسّ إلى أمّه، من تعليمه الصّارم في كليّة "بفورتا"[1]، حتّى كلّ الشّباب الشّجعان والفاجرين الّذين كانوا قد صاغوا روحه دون علمه يعتقدون أنّهم أحرارًا، وسنكون كذلك لا محالة حين ننقل للآخرين أعمالًا فكريّة، وفجأة يصيبك القلب بخيبة أمل رافضًا اختراق الحواجز الأكثر سهولة.

كان "القدّيس الصّغير" لمنطقة "فونتان ماروز" قد أنهى الآن الكتاب الّذي سيكون بالنّسبة إليه بداية حملته الصّليبيّة ضدّ الأخلاق التقليديّة، لقد قام بإعداد معدّاته اللّازمة للحرب، وجمع الذّخيرة، وحرّر حياته من العقبات الماديّة، وكذلك تخلّص من السّادة السّيئين، ومن الحماس الحسيّ، وحتّى جزءًا مهمًّا من الصّداقات النّبيلة. ونسي شيئًا واحدًا: قتل

---

١ بفورتا: مدرسة داخليّة في ألمانيا تضمّ أكثر التّلاميذ تفوّقا في الدّراسة.

قلبه. "كن وفيًّا للأرض" بطبيعة الحال هي الّتي ستعود إليك، وستثبت لك أنّك لست روحًا نقيّة، لأنّها أيضًا ستبدو لك وفيّة.

في نهاية هذا الرّبيع من سنة ١٨٨١، كان كتاب "الفجر" تحت الطّبع. اندفع نيتشه إلىٰ "ريكوالو" في "تيرول"[١] الإيطالية حيث التحق به صديقه "جاست". كان هناك شيء جديد يطفو داخله علىٰ سطح جبل ثائر. ليس فيه من الفلسفة، ولا من تلك الأمثال الجميلة الّتي ينقلها بعناية علىٰ دفاتر ملاحظاته. إنّها قصيدة عنيفة تريد أن تنبثق في دفعة قويّة من كيانه لتحرير المنبع الّذي يسيل من أعلىٰ الأرض. إنّه التّعبير الشعريّ للحكمة، قعقعات جديدة في الأقبيّة الصوتيّة لهذه الرّوح المخمورة. "كيف نقول في كلمة واحدة إلىٰ أين تمتدّ كلّ الطّاقات الّتي توجد داخلي؟ كتب لأخته. لقد كان في حدّ ذاته لا يعرف ذاك. تلك الكلمة الّتي أزهرت في فمه مثل وردة من صنف غير معروف كان يتصوّر أنّه الفجر. إنّه "زاردشترا". وأضاف: "سترىٰ كيف صُنع هذا الشّيء الّذي سيجعل اسمك خالدًا وقليل البروز".

****

١ تيرول: منطقة في وسط أوروبا تمتدّ علىٰ جبال الألب الشّرقيّة.

زارادشترا عاشق كارمن

لم يولد بعد هذا الشّيء، ورغم ذلك وقع قبوله أي توقّعه وقبوله عن طريق الغريزة. ملأ نيتشه دوّارا وحماسًا. حملها في جسده مثل فاكهة قويّة تتغذّىٰ من دمه ونخاعه. سوف يكون طفلًا فظيعًا مثل هذا، طفل سيقلب العالم رأسا علىٰ عقب من ضجيج موسيقاه لأنّه تحت علامة هذه الموسيقىٰ يتعمّد سلفًا ابنه "زرادشترا". ولأنّ "طائر الفينيق الموسيقيّ يطير حوله" حوّل في نفس الوقت ترنيمة للحياة (تكوين جوقة أوركاسترالية مختلطة)" سنغنّي لها ذات يوم في ذكرىٰ تخصّني هكذا قال لي: حين نغنّي للعودة الأبديّة فإنّ هذا القانون للعالم وللحضارات هو تأكيد علىٰ الحياة.

هرب إلىٰ الجبال العالية في "أنجدين"[1] هو ملجأ بهيج أكثر نقاءً من "ريكوارو"[2]. جاءت بفضل صدفة إثر محادثة مع مسافر مجهول كان في طريقه إلىٰ سان موريتز اكتشف "سيلس ماريا"[3] وصخورها وأشجار "اللاريس"[4] ونهر "فاشت"[5]، مع كلّ هذا كان

---

١ أنجدين: منطقة من جبال الألب السويسريّة في الجنوب علىٰ الحدود مع النّمسا.

٢ ريكوارو: منطقة بلدية إيطاليّة تقع في منطقة فينيتو في إيطاليا.

٣ سيلس ماريا: قرية صغيرة في الألب ١٨٠٠ متر علىٰ سطح الأرض في جنوب شرق سويسرا.

٤ اللاريس: أشجار طويلة دائمة الخضرة.

٥ نهر "فاشت": واد في أقصىٰ شمال فرنسا.

نيتشه في أوائل شهر أوت من سنة ١٨٨١ في نظرة "لزرادشترا" قصيدته البطوليّة، النّشوة في مثل هذا الّذي يمشي في عزلته باكيًا بدموع الفرحة. يغنّي ويقول أشياء مجنونة، يشعر أنّه خطير "مثل آلة يمكن أن تنفجر".

ويجد أنّه قد استرجع حقّه من معاناته الطّويلة، وصداعه المستمرّ، وشبه العمىٰ، وعزلته الأخلاقيّة، والرّوحيّة وفقره. وليس أكثر من هذا، ومن الآن فصاعدًا لن يحسد سعادة الرّجال بما أنّه وضع يده علىٰ آلاف السّنين.

"إنّ الشّخص الّذي يعمل يعطي أكثر إحساسًا أن يعمل، فيما الشّخص الّذي يرتاح يعطي كذلك أكثر إحساسًا أنّه يرتاح، ومن له النّظام، التّقليد والطّاعة يعطي أكثر إحساسًا بالطّاعة، ولكن فلندعه يدرك ما يمنحه أعلىٰ شعور، ولا يتوقف بأيّ حال من الأحوال للوصول إليه، فهو يذهب نحو الخلود".

"فلا ننظر إلىٰ الآمال البعيدة، والنّعم المجهولة، ولكن نعيش بحيث نريد أن نعيش مرّة أخرىٰ، ونعيش في الخلود كما كنّا نعيش. هذه الحياة هي حياتك الأبديّة، لأنّ كلّ شيء هو أبديّ العودة، لاحظ نيتشه هذه اللّحظة الفارقة. " كنت ذاهبًا في هذا اليوم إلىٰ بحيرة "سيلفابلانا" داخل الغابات قرب كتلة صخريّة عظيمة علىٰ شكل هرم، غير بعيدة عن "سرلاي"، ثمّ توقّفت.

إنّ في هذا المكان كانت قد جاءتني هذه الفكرة ستة آلاف قدم من وراء الرّجال والوقت، وهو مرور يوضّح تاريخ الأفكار، مكان لامسته هذه الذّكرىٰ العظيمة، لكنّها لم تكن فقط أكثر من دقيقة واحدة بين يدي امرأة عفيفة جدًّا: الأبديّة. "أبدًا مازلت لم أقابل بعد المرأة الّتي أرغب أن أنجب منها أطفالًا غير تلك المرأة الّتي أحبّ: لأنّي أحبّك، أوه أيّتها الأبديّة". عاشقة صاحبة بطن بارد، حتما فهل كان علينا أن نكون ألمانًا، وفلاسفة لنستمتع بمثل هذه الكثافة لتشنّجات مجرّدة؟

كان عليك أن تعود إلىٰ إيطاليا لتشمل من هذه المتعة، منذ شهر أكتوبر عاد نيتشه إلىٰ "جنوة" حيث انتابه إحساس فرح وفخر تمامًا مثل أمير "دوريا"[1] ذلك الذّي عاش أيضًا متاعب جسديّة. كلبته كما كان يسمّيها، كلبته الوفيّة، غير متحفّظة، مزحة ومرحة وذكيّة تعينه علىٰ التّفكير، وتلزمه علىٰ التّفكير. كلبة جيّدة ومفيدة تستحقّ من سيّدها كتاب جديد صيغت مسودّته في ثلاثة أشهر تحت اسم (المعرفة المرحة). ولكن يجب علينا أن نتّفق أنّ هناك استراحة من النّباح والعضّ. وهناك اشراقات طافحة بالمرح من خلالها اكتشف (لا كارمان دوبيزات)[2].

---

١ أمير دوريا: هو أندريا دوريا ولد١٤٦٦ وتوفّي في١٥٦٠، مؤلف الإصلاح السياسيّ لجمهورية "جنوة"، ويعتبر من أعظم الجنرالات وأفضل البّحارة في ذلك الوقت.

٢ لا كارمان دوبيزات: كارمن هي قبل كلّ شيء عاطفة، حبّ، خيانة، جريمة عاطفة، الخارجين عن القانون... كلّ ذلك في إشبيلية في عشرينيات القرن التّاسع عشر.

إنّها مفاجئة بالنّسبة إلينا قليلا من حماس نيتشه المفاجئ لهذه المرأة كارمن صحبة وردتها، ومروحتها، و"دون جوزيه" ومصارعة الثّيران، وفخامة "الإسكيميلو"، ولكن عليك أن ترىٰ المحفّز البسيط يقين أنّك علىٰ حقّ ضدّ "فاجنر". "فاجنر" مرض قديم مازال يستيقظ في بعض الأحيان يبعث داخله حمّىٰ، بما في ذلك واجه العديد من المصاعب في الشّفاء. لقد حارب "فاجنر" لأوّل مرّة عن طريق "شوبان". الموسيقىٰ ضدّ الموسيقىٰ. لأنّ كلّ فلسفة هي سلسلة لأحداث الرّوح، ولا تجد رمزًا إلا في الموسيقىٰ "شوبان" ضدّ "فاجنر" و "بيتر جاست" ضدّ "فاجنر"، "برامز" ضدّ "فاجنر". وهذا "بيزات" رجل رائع بقلبه اللاّتينيّ، عاطفيّ ومتوازن، منضبط علىٰ الطّريقة الفرنسيّة، واضح مثل هذه السّماء. سماء بحر الأبيض المتوسّط متكئًا علىٰ الفلكلور "الإيبيري"[1] القديم ضدّ "فاجنر" أيضًا. بأيّ فرح قبّل نيتشه هذا الشّاب الفرنسيّ غير المعروف، للأسف كان ميّتًا في (٢٧ نوفمبر ١٨٨١).

بدأ في كتابة رسالة إلىٰ "جاست "بهذه الكلمة" (حوراه)، إنّ الفرنسيين يمتلكون تقدّمًا موسيقيًّا كبيرًا مقارنة بالألمان في هذه النّقطة المهمّة. فالشّغف بالنّسبة إليهم طبيعيّ، نقيّ وتلقائي، وليس مرضيًّا مثل "بيزات" و "ميرماي"، "ستندال"، "شامفور"، "جان"، أشياء تتوافق، وتتضخّم الواحدة مع الأخرىٰ.

---

١ الإيبيري: جزيرة صغيرة بين اسبانيا والبرتغال .

في نفس الوقت انسجامه مع فرحته حول عيد ميلاد المسيح الجنوبيّ، وهي نعومة ينزلق القلب فيها، فاتحة للحبّ حيث يأتي "بيزيت" ليقدّم صورة حيويّة بريئة ومسئولة مفعمة بصرخات الغريزة النّقيّة، ليس لعلاقات الحبّ المعقّدة "لفرويد" و "وتان". ولكن العاطفة الوحشيّة حادّة مثل شفرة على هامش الأخلاق. طعم المتعة الصّافي، القانون الأساسيّ للطبيعة (التدرّج والتباين المنطقي) هكذا كتب على مظهر "كارمن" الّذي سيرسله إلى "جاست" ولا يرى فيه ابتذالًا، بل على العكس هي قوّة في كلّ مكان و(من أفضال طريقة موزار). الفضل الّذي يعود "لجنوة" ويعيدها إلى هذه المدينة مرّة أخرى غال جدًا. هو جنون حقيقيّ للتّنزّه، وليس أكثر من القراءة الّتي تؤدي إلى صداع لا يطاق. لقد اكتشف حديقة جديدة، حديقته، حديقة "فيليتا نقرو"[1] بجوار منزله. مكان أعجب به "ستندال" أكثر من أيّ أحد حيث أشاد به. "كارمن" حديقة" فيليتا نقرو" الرّائعة والجميلة، هذه هي أدويته.

ومع ذلك لم يحقّق كتاب "الفجر" نجاحًا، ولكن كتاب "المعرفة المرحة" انتقم بدوره هذا الكتاب المرير والبهيج الّذي يعلّمك أنّ لا وجود لمعرفة، ولا لحقيقة واحدة، وأنّ الحياة في حدّ ذاتها هي شكل من أشكال الموت. لأنّ الله أيضًا مات. نيتشه لا يزعم أنّ الله غير موجود،

---

١ فيليتا نقرو: واحة خضراء بانوراميّة خلاّبة للغاية بمساحة هكتارين في وسط المدينة حيث كان معقل "سانت كاترين" في القرن السّادس عشر.

ولكنّه مات، أنّه مجرّد جثّة ألقيت حولها كتب الخرافات البشريّة، فليس له تجاه الله أيّ إحساس بالخوف، لأنّه لا يملك الإحساس بالذّنب كأيّ مسيحيّ حقيقيّ.

فالمسيحيّ الحقيقيّ إن جاز التّعبير هو ذلك الّذي يملك الإحساس العميق بخطيئته. وأعني بذلك الشّعور بوجود الشّيطان والوعي بضرورة محاربته والقضاء عليه، فالّذي لا يعرف نفسه جيّدًا يمتلك قليلًا جدًّا ممّا أعطاه إله يجهل تمامًا نضاله وهزائمه. إله نيتشه هو مشرّع للأبراج، ولا يستطيع الوصول إلىٰ قلب الإنسان، هو أيضًا تموج داخله عبثًا صورة الشّيطان، هم شخصيات دون وجه أو صوت. دون شكّ في الماضي كانوا يعيشون بيننا في الفترات البريئة لهذا العالم. ولكن اكتشافات العلم الحديث وتأمّلات الفلاسفة قتلتهم منذ فترة طويلة. لقد ماتوا الأوّل والثّاني تحت نظر المعرفة.

حدث رهيب من مشيئة الحتميّة الرّديئة الّتي تحوم علىٰ الرّجال. والّتي لا تتماشىٰ مع حجمهم، علىٰ المرء أن يكون ربًّا ليفهم نواياهم، أو علىٰ الأقلّ "ديوجين"[1] جديدًا باحثًا عن الربّ، عن إله جديد قادر علىٰ اختراع معاناة جديدة. حيث ما فتئ يتنازل عن أوامر المسيح المثاليّ الذّي يطالب ذلك بسهولة. والرّجال يسخرون من حامل الفانوس هذا. حتّىٰ

---

١ ديوجين: فيلسوف أسطوريّ أحد أشهر طلاّب مدرسة "أونتيسثان" السّاخرة الّتي تأسّست في عصر يونان القديمة.

إنّهم يخافون منه، فمن يجرؤ علىٰ إعادة خلق للحياة الإلهيّة، مع العلم أنّ الله قد مات؟ لقد كان رجلًا بامتياز، رجل مثاليّ، معلّم لإله نبيل، أقلّ دمويّة من السّابق: الحقيقة أُعلنت من هنا مرّة أخرىٰ عند ممرّ الجبال العاليّة القريب، واللاّمرئيّ "زرادشترا" في انتظار أن ينزل من قائمات الحكمة القادمة، نيتشه بكامله في "المعرفة المرحة" كتاب للاحتفاء بعد الحرمان والمعاناة (لأنّه للمرّة الأولىٰ منذ فترة طويلة يشعر أنّه علىٰ ما يرام) وداخله فرحة لإحياء القوىٰ المتوالدة داخله، وحدس بالمستقبل، ومزاج منفتح حديثًا. في هذا الكتاب نرىٰ فيه نيتشه ربّما للمرّة الأولىٰ والوحيدة فقط متشبّعًا بالشّباب، وسعيدًا جدًّا حدّ النّخاع. كان يغنّي في هذا الكتاب الّذي كُتِبَ بأكمله أثناء شهر أكتوبر من سنة ١٨٨٢. هو استرخاء في فترة نقاهة كما نعرف جميعًا بعد فترات من المرض الطّويل تمتلئ قوّتنا النّابعة من الإيمان بعبقريتنا، وحبّنا. حيث نتجسّس بأيدينا هذا العالم، من أصغر زهرة علىٰ طاولتنا تفتح لنا مستقبل عطلة مظفّرة. إنّ النّقاهة مثل الصّحة بل أكثر لطفًا الّتي نرغب أن نشعر بها كلّ يوم، ورغم إكراهات المرض تدفعنا بكلّ مرح نحو الغد.

أخذ طريقه نحو"ميسين"[1] علىٰ متن قارب شراعيّ إيطاليّ صغير. بعد أن قام بعبور سيء، لم يؤثر علىٰ مزاجه. ألقىٰ مسودّة تحمل العديد من القصائد، وحطّ الرّحال في صقليّة، هذه المحطّة في العالم حسب

---

١ ميسين: مدينة ساحليّة تقع في الشّمال الشّرقي من صقليّة.

"هوميروس"[1] تسكنها السّعادة، بها فندق صغير هادئ في مكان ظليل لأشجار النّخيل.

اهدئي، اهدئي، ابقي هادئة
هل تعرفين حجم الكفّ
حين يرتدي الإسراف

اصبري، اصبري
صبرًا بلون الأزورد
كلّ ذرّة في الصّمت
فرصة لثمرة ناضجة

هذه الأبيات "لفليري"[2] كان قد عاش معها نيتشه وهو بصدد كتابة أنشودة"لمسين" كما قال ذات مرّة: أنّ قلبه قد صعد إلىٰ عقله، ينتقي ثماره النّاضجة.

معلّق علىٰ الجذع، أدحرج تعبي.

---

١ هوميروس: شاعر اشتهر بعملين كبيرين الإلياذة والأوديسة، عاش في نهاية ق٨ ق.م.

٢ بول فليري: كاتب وشاعر فرنسيّ ولد في (٣٠أكتوبر ١٨٧١) وتوفّي (٢٠ جويلية ١٩٤٥).

إنّ هذه الكلمات تثير الرّغبة وتذكّرنا بالمنشد القرويّ الرّاقص، في "ميسين" كان نيتشه قد بدأ في رقصة حول فكره وأعماله، ولم يكن يعلم أنّه علىٰ بعد خطوتين منه، في فندق في "باليرمو" فيما "فاجنر" كان قد أكمل غناءه عن دموع "برسيفال".

لقد ظهر "زرادشترا" هذه المرّة علىٰ قمّة الجبل، لكنّه لم يستطع النّزول بعد بين الرّجال، مادام لم يجتاز بعد اختبار الحبّ، شعر بذلك نيتشه عندما لاحظ في الكتاب قبل الأخير من معرفته المرحة: أنا أشعر بالاشمئزاز من حكمتي مثل النّحلة الّتي جمعت كثيرًا من العسل، أنا أحتاج لأيد تمدّ لي. " في الأثناء تلقّىٰ دعوة من صديقة قديمة من روما الآنسة "مايزنبورك"، وغادر في الحال للقائها.

****

الآنسة "لو أناكزوس"

بمجرّد وصوله، قصد نيتشه امرأتنا المثاليّة من "سورينتو" وهي مثل كثير من الفتيات المسنّات اللّواتي انتظروا خطيبًا طوال حياتهنّ. فقد كانت "مالويدا" ترغب في إقامة حفلات زفاف. وإذا كانت قد ضغطت على نيتشه للقدوم إلى روما ما دامت قد دفعتها الفكرة للزّواج من شاعرها المتوحّش بشابّة روسيّة، ادعت أنّها تحت حمايتها. قامت على الفور بمدحها وهي الآنسة "لو سالومي"، فتاة يهوديّة من أصل فنلندي تبلغ من العمر عشرون سنة، صاحبة جمال رقيق، وذكاء سريع وثابت، وحالة ماديّة حسنة. مثقّفة جدًّا، ومتحرّرة. هذه الشّابة المتخلّقة سعت بكلّ حريّة لشغل أوقات فراغه، فلن تطلب أكثر من ربط عبقريتها النّاشئة بمصير الأستاذ المتجوّل الّذي بدأت شهرته تكبر في كلّ مكان. تعرّفت الآنسة "لو" على أعمال نيتشه بواسطة العجوز "ميسينبوغ" وصديقه "بول ري" عند مرورهم بروما أيضًا. ولم تتوان في التّعبير عن حماسها، ولم تكن حتّى تخفي عن نيتشه أنّ هذا التّلميذ اللّطيف كان بالنّسبة إليه معلّمًا وصديقًا، في "هلسينج فورز"[1] في شخص أستاذ بارز، متزوّج ومتعلّق بواجباته. بشجاعة غادرت إلى المنفى، لذلك جاءت إلى روما باحثة عن عاطفة دون أن تتطلّب شيئا من قلبها الحزين. على الأقلّ كانت تعرف

---

١ هلسينج فورس: مقاطعة في فيلندا.

كيف تشغل فكرها. لم تزعج هذه السّمات نيتشه، ووافق عن طيب خاطر رؤيتها. في يوم جميل من أواخر شهر أبريل، التقيا كلّ من عدو المسيح والشّابة الإسرائيلية في كاتدرائيّة القدّيس بطرس.

بدت الآنسة "لو" مسحورة. فقد كان نيتشه وفيًّا لنظرياته حاملًا قناع المجاملات الأكثر تقليديّة، ومع ذلك سرعان ما رأت أنّه كان يلبسها بطريقة سيّئة، فقد كانت نظرته تخونه. تلك النّظرة الحسيرة الّتي لم تعكس أبدًا تغيّر انطباعات العالم الخارجيّ، ولكن تقدّم بطريقة الثّبات المضيء لأحاسيسه. هذه الأضواء ضربتها وأمطرتها سعادة، فيما أغوت نيتشه على الفور. حيث اعتبرها فتاة ليست بالغة الجمال، ربّما دون شخصيّة، هكذا كتب لأخته. تراجع في الرّسالة مدّعيًا أنّه كان بالفعل غرًّا (فتاة صغيرة ومنذ بداية طفولتها الرّقيقة لم تبحث إلا لطلب المعرفة وجابهت كلّ المصاعب والتّضحيات، لقد حرّكتني بعمق). وقد قال للآنسة "ميسنبورغ":(هذه روح خلقت من نفخة جسم صغير). نيتشه بالكاد يصدّق بالسّعادة في الحبّ، ولكن ليس هناك أدنى شكّ بأنّه قد أحبّ. ومن خلال هذا الظّلم العجيب تجاه الأشخاص الصّالحين الّذين يخلقون من المثاليّة فكرة مطلقة، ومن خلال هذه الأنانيّة الرّائعة للعشّاق الّتي غنّى لها كأنّه ذلك الرّجل المثاليّ الشّرس في التّملّك. لقد كانت لديهم محادثات طويلة معًا حين كانا يغادران بشكل مضطرب وخطير، ومن جرّاء العنف الكامن في أفكار نيتشه، كانت "لو" تتكلّم بطريقة غامضة، بيدين ذكيّتين للغاية مازالتا تخدعانه حتّى عن طريق الأذن فقد وجدت للاستماع إلى مّا لا يمكن

قوله. كان نيتشه متأثّرًا أمام هذا الحضور الأنثويّ الّذي حرم منه فترة طويلة طيلة سنوات العزلة. وسرعان ما غادرا على السّاعة الرّابعة إلى بحيرة "أورتا"[1]، صحبة السّيدة "سالومي" وابنتها، والفلاسفة الاثنين، قال نيتشه لصديقه: "إنّها امرأة رائعة، تزوّجها". ردّ عليه: "تزوّجها أنت، هي الرّفيق الّذي تحتاجه".

كانا يستمتعان مثل طفلين يسحبان "لو" داخل عربة البستانيّ بينما كانت تقرّر أن تضحّي بحياتها من أجل الحقيقة. غادرا من جديد ليلتقيا بعد عدّة أيّام في منتصف ماي في " لوسارن "[2]، حتما هل نيتشه هو الّذي اختار مكان هذا اللّقاء بإحساس جديد يملأه التّسامح العميق، أراد أن يشيد بماضيه، أيّ ماض؟ صداقة "فاجنر"، أو حبّ غير معروف، ولا يمكن الحديث عنه، "لكوسيما"؟ على أيّ حال فقد رغب أن يدفع "لو سالومي" إلى "تريبشن" هذه الجزيرة المباركة، في جزيرة "ناكسوس" حيث "فاجنر كوزيما أريان" عاشا من قبل ساعات مليئة بالإيمان والحماس، ولكن قبل ذلك أمر "ري" بتسليم الفتاة مكتوبا يحتوي على طلب زواج. سأل صديقه بهدوء أنّ دون شكّ يمكن أن تكون علاقة في إطار تعايش حرّ. هي سذاجة عالم وفنّان لا يعرف الحالات الاستثنائيّة،

---

١ بحيرة "أورتا": بحيرة صغيرة في جبال الألب في مقاطعة "نوفارا أوسولا" في شمال إيطاليا. تقع بالكامل في منطقة بيمون.

٢ لوسارن: مقاطعة في سويسرا.

وإلىٰ جانب ذلك كان للآنسة "سالومي" حسّ عمليّ قويّ، ولا تملك ما يكفي من الحبّ لتصوّر ولو للحظة واحدة هذه الافتراضيّة. فقد فاجأها قرار نيتشه الفظّ، ولكنّها لم تصدّق ذلك، ولم ترغب حتما في تصديقه، يبدو أنّها كانت تفضّل أن تكون خطيبة لصديقه "ري"؟ ربّما كما قلنا.

ولكن من المؤكّد في جميع الأحوال أنّها لم تشعر بالحبّ تجاه نيتشه علىٰ الرّغم من تقاربهما الفكريّ، والإعجاب الواضح المتبادل بينهما. العبقريّة وحتّىٰ الموهبة غالبًا ما يجدا صعوبة للوصول إلىٰ القلب لأنّ الغرائز تتصاعد ضدّ متطلّبات هذا العدو الخفيّ. فهل ممكن أن نتسامح مع الذّكاء الّذي نتصور أنّه غير قابل للفشل. لقد كانت الآنسة "لو" مدركة كما تعرف أيّ امرأة كيف يمكن أن تكون حين يتعلّق الأمر بالحقائق العميقة للجسد. فهي تعيش ذلك الخطر الّذي أهداه مثل هذا الرّجل، وصارت كذبة ملموسة. لقد تمّ الاتفاق مع "ري" أنّ الفرصة لم تكن سانحة لذلك، فلم تجب عن الرّسالة، مرّت بعض أيّام، ثمّ غادروا نحو " ريبشن".

لقد قدم نيتشه إلىٰ هنا أوّل مرّة في ١٥ ماي ١٨٦٩ في يوم سبت في عيد العنصرة[1] كان معلّمًا شابًّا من جامعة "بال"، وكتب "لفاجنر" عن مدىٰ الحماس الّذي تلهمه موسيقاه. لقد كان شديد التّأثّر به مثل كائن خارق. إلهيّ، ومتملّك، هكذا كان المعلّم يناديه. كان نيتشه دون حراك، واقفًا

---

١ عيد العنصرة: هي عطلة مسيحيّة تحتفي بتدفّق الرّوح القدس.

أمام بوّابة المنزل حيث لجأ إليها المهاجر الأبديّ أين وجد منفىً له، يستمع لدقّات قلبه، لقد كان يستمع كذلك إلىٰ وتر مؤلم عالق علىٰ بيانو، ضرب لمرّات عديدة، وهرب من شرفة مفتوحة علىٰ حديقة ربيعيّة. أقبل خادم ليعلّمه أنّ سيّده يعمل إلىٰ حدّ السّاعة الثّانيّة، ولا يمكن له استقبال الأستاذ إلا فيما بعد. وفيما كان من المستحيل الانتظار ارتأىٰ نيتشه المغادرة.

كلّ مّا تحصّل عليه من هذه المحاولة كان هذا الاتفاق الوحيد المتكرّر باستمرار، الّذي ذهب ليفنىٰ بين الورود مثل نداء بعيد، واستفهام متعب. في وقت لاحق كان عليه أن يتعرّف علىٰ مقطع من الفصل الثّالث "لسياكفريد"[1]، حيث صرخت "برونهيلد"[2]:

(لقد جرحني ذلك الّذي أيقظني ورأىٰ أنّ ذلك نذير مدهش للغاية. في يوم الاثنين يوم عيد العنصرة غادر نحو "تريبشن"، وفي هذه المرّة استقبل من طرف الملحّن و"كوزيما دو بيلو"، الّتي تقطن عنده. وهكذا بدأت هذه الصّداقة المثيرة، المرحلة السّعيدة والقصيرة أين تقبّل قلبه اقتحام أفكاره دون نقد بشكل عنيف في عصره.)

---

١ سياكفريد: بطل في الأساطير الجرمانية من عائلة فلسونار يعود تاريخها إلىٰ "أودين" الّذي كان تحت حمايته، والده اسمه "سيجموند" قيل أنّه تزوّج من أخته، ومنعه الملك، وأزاله من جذع شجرة العائلة.

٢ برونهيلد: هو اسم لمحاربة من الأساطير السّكندنافية، وشخصية مركزية ظهرت في عديد من القصائد البطوليّة الّتي تمّ جمعها في القرن١٣.

"ايطاليا"، قال نيتشه متحدّثًا عن شبه الجزيرة المشمسة على ضفاف بحيرة "دي كاتر كنتوس"[1] حيث وجد المأوى الّذي استأجره ملك "بافاريا"[2] لصديقه المتميّز. كان نيتشه يذهب إلى هناك أيّام السّبت والأحد ماعدا الأيّام الّتي تفصله عن العطل المتقاربة. وكأنّ هذه الصّداقة الجديدة عليها أن توفّر على الفور أحداثًا غير عادية، وقد تميّزت إقامة نيتشه الأولى بمولد ابن "فاجنر" و "كوسيما". وقد كان في آخر موسم، وبعد أسابيع قليلة تزامن مع ولادة "سياكفريد" الابن الرّوحيّ للمعلّم "فاجنر". وحرص دون كلل على أعماله الموسيقيّة للعثور على تعبير فلسفيّ لها. من النّاحيّة الأخرى كان نيتشه لا يعمل أقلّ من ذلك حيث أثارت فيه هذه الموسيقى حماسًا ديونيسيًّا[3]، وهو على يقين أنّه أوّل من يدقّق في كلّ نوايا الشّاعر ربّما لفهم معناها أفضل منه. منذ ذلك الفجر انتابه إحساس بالفشل في الإمكانيات الفكريّة الّتي تدلّه، وتأكّد بفخر على تفوّقه في الثّقافة والمعرفة بين هذين الثوريين المتحمسين أين عاشت "كوزيما ليزست".

وكم أغرت هذه الشّابة الأرستقراطيّة المتغطرسة نيتشه ذات الاثنين وثلاثون عامًا الّتي ضحّت بتأثير من والدها بعلاقتها الزّوجيّة الّتي مازالت تربطها "بهانس دي بولو"، تكريمًا للعالم، والفضائل العامّة، وهدوئها

---

١ بحيرة دي كاتر كنتوس: بحيرة جليديّة في وسط سويسرا.

٢ بافاريا: اسم لبافيار في ألمانيا له أكثر من دلالة.

٣ ديونيس: إله الخمر عند الإغريق.

الاجتماعي، لمجد" السّاكسون" الصّغير في الخمسينات من عمره الّذي خرج من منفىٰ إلىٰ منفىٰ، بجذوره المتعبة ممتلئًا بدراما غير قابلة للعب! إذا كان المقرّبين من العبقريّ نيتشه كانوا سببًا رائعًا في مجده الرّوحي، وشيء آخر كان أكثر عمقًا هو حضور هذا الكائن الأنثويّ السرّيّ، بهذا الذّكاء التّلقائي المرن، هذه "المرأة الوحيدة الّني تملك ذوقًا راقيًا" الّتي مازال يعرفها. لا شكّ أنّه كان يسعىٰ للحصول علىٰ موافقة "فاجنر" في كتابه "مولد التّراجيديا"؛ ولكن أكثر من ذلك فقد كان حتمًا الإعجاب بعاشقة النّخبة هذه الّتي جعلها أكثر اختفاءً في قلبه، النّسخة المثاليّة "لميناد ديونيسيان"[1]. و لمّا يفكّر بها لا يجد لها إلا اسمًا واحدًا ذلك الّذي قصده بشكل رمزيّ للمرأة الّتي هجرها البطل "ثيسيوس": أريان. في شبه الجزيرة هذه "لوسيرن"[2] ربّما يمكن أن تكون "ناكسوس"[3]، فيما كان نيتشه هو المتاهة، أو "ديونيسوس" نفسه.

قبل ثلاثة عشر عامًا من يوم الرّبيع هذا من سنة ١٨٨٢، لم تكن إلا تلك الشّابة اليهوديّة الّتي كان نيتشه يرافقها في طريقه، هي"أريان" الغامضة، الذّكريات الخارقة الرّقيقة، الفظيعة. من الأمام تمشي "ليزباث

١لميناد ديونزيان: مجموعة من نحوت للآلهة "ديونزوس."

٢بحيرة"لوسيرن": بحيرة جليديّة في وسط سويسرا طولها٣٨ كلم علىٰ ارتفاع٤٣٤ مترًا فوق مستوىٰ سطح البحر.

٣ناكسوس: جزيرة يونانيّة في بحر إيجي، أكبر وأعلىٰ جزيرة في "أرشيبال."

نيتشه"[1]، أخته إلىٰ جانب "فاجنر" في سترة مخمليّة، وسروال قصير وجوارب سوداء، مع قبّعته الأنيقة، وربطة عنق زرقاء جليّة. ثمّ جاءت "أريان" برفقته. كانت ترتدي فستانًا من الكشمير الورديّ يزيّنه طوق كبير، ربط الحذاء علىٰ ذراعه علّق قبعة كبيرة مزدانة بالورود. سارا بالقرب من بعضهم البعض، وكثيرًا ما ظلّا صامتين. وكم كان جميلًا هذا الصّمت! كان محمّلًا بأشياء لا يمكن التّعبير عنها! أخيرًا عندما بدأ الحديث، بدا طبيعيان ومتناغمان تمامًا مع أرواحهما، حول أفكار في التراجيديّة اليونانيّة، فكأنّهما دخلا علىٰ عتبات رخامية في المأساة الإنسانيّة. إلىٰ جانب ذلك، لم يكن جلّها لاتينيًّا، هي فرنسيّة مولودة في "كوم"[2]، وترعرعت بالكامل في باريس؟ وهذا سبب دقيق للغاية، يمكن أن يجعلنا نلتقط ببراعة هذه الفروق الدّقيقة، حيث لم تكن أفكارها مهمّة بالنّسبة لريتشارد. كان هو فرديريك نيتشه (ذلك الرّجل الّذي رغب أن يكون سليل السّادة البولنديين) العاشق المثاليّ المخصّص لهذه السيّدة المتغطرسة الطّويلة. وليس لهذه العاملة علىٰ آلة السّاكسون. فقد كانت قويّة بل رائعة.

كان السّبب معروفًا ضمنيًا، وهو قوّته وذكائه. ولكنّه مع ذلك ينقصه الرقيّ الفكريّ والسلوكيّ الّذي يجعل من امرأة راقية مثل "كوزيما" تبحث فقط في الرّجل الّذي تحبّه عن الشّهرة والنّجاح، وهي ربّما تكون

---

١ ليزباث نيتشه: أخت نيتشه.

٢ كوم: مدينة تقع في الطّرف الجنوبيّ من البحيرة الّتي تحمل الاسم نفسه، شمال إيطاليا.

نجاحات قد عفا عليها الزّمان! لا بدّ إذن أنّها تملك ذائقة خاصة تجعلها تقترب من الأضواء والظّلال الّتي تحيط بالقمم الفكريّة والروحيّة الّتي تختلف بالطّبع عن الأضواء القبيحة والسّوقيّة الّتي تنير خشبات المسارح. إلا أنّ "كوزيما" لم تكشف أبدًا عن أفكارها تلك.

ليس أكثر من نيتشه الّذي يتجوّل معها، وكثيرًا ما يعيش معها طوال أيام كاملة، حيث تلمس الرّوح هواء الفكر. ومع ذلك هي تعرف كيف تكون طبيعيّة وبسيطة، فهي امرأة مختلفة جدًّا. تحبّ اللّهو والضّحك، وأبسط الأشياء كانت تسلّيها. تلاعب أطفالها، واقترحت على نيتشه التسوّق لشجرة عيد ميلاد المسيح، من كتب، ودمى، ولعب. وطلبت ملائكة ورديّة اللّون، وشيطان أكثر شيطنة. وتحصّلت على نسخة من طبعة جيّدة من مقالات "موتاني"، علاوة على ذلك اتّهمت "فاجنر" أيضًا بأنّ صديقًا شابًّا في البعثات، كان قد تحصّل على تعهّد منه في "بال" بالإشراف على الطّباعة والتّصحيح لوثائق المعلّم في سيرته الذّاتيّة الّتي سيتمّ سحب اثنا عشرة نسخة منها فقط للمقرّبين (وإلى أيّ حدّ كانت سريّة نيتشه في كلّ ما يعرف عن "فاجنر" فيما يخصّ أصوله ومولده).

لقد حان الوقت لمنح الثّقة والقبول المتبادل. فقد كتبت "كوزيما" له ذات يوم: "... فيما نحن نشعر جيّدا بأنّ المعاناة المخضّبة في الرّوح لا تمحى، لذلك أنا أدّعي أنّ أعلى سعادة على وجه الأرض هي الرّؤيا، وأنّ هذه الرّؤيا قد سقطت حين كنّا نتشارك بها"

نعم لقد ظلّت المرحلة الأولىٰ "مرحلة تريبشن" في ذاكرة نيتشه مثل تجربة جادّة وهادئة، كانت فعلًا مثل نوع من الرّؤيا، آخر لوحة مثاليّة قبل الأزمنة المتوحّشة في سنة ١٨٧٠، من قبل الحرب الأخرىٰ أيضًا.... الشّخص الّذي سيدرّب ثوريّ المستقبل ضدّ مّا حدث بالأمس، فهو شاعر الغد ضدّ موسيقيّ البارحة. كان منذ ذلك الوقت يكمل كتابة "ولادة المأساة" وقد حمل الرّسومات حتّىٰ تحت أسوار "ميتز"[1] الّتي فاز بها في ألمانيا حين تمّ إجلاؤه من ساحات معارك "لورين"[2]، وتمّ حشوهم في حقيبته عندما انطلق مع أخته "غوتهارد"[3] في رحلته الأولىٰ إلىٰ "لوغانو"[4] الرّهيبة في أوائل فبراير ١٨٧١، مشدودًا في مزلاج ذا مكانين. انزلقا "فريديريك" و"ليزبيث" تحت شمس الشّتاء القويّة علىٰ إيقاع أجراس الحصان علىٰ الطّرق والمنحدرات الّتي تتسلّق أو تنزل بين أشجار الدّانوب عيد الميلاد المليء بالصّمت.

لقد عاد نيتشه ليرىٰ ومرّة أخرىٰ ضفاف هذه البحيرة المثيرة "باتيتيك"[5] أو بالأحرىٰ يسمعها مرّة أخرىٰ، لأنّه ليس بالعين يتذكّر (تلك العين قصيرة النّظر)، ولكن عن طريق السّمع. كلّ هذا الحنين لا يعني

---

١ أسوار ميتز: هي بلديّة فرنسية تقع في مقاطعة "موسيل" في فرنسا.

٢ لورين: حدثت في هذه المدينة معركة دارت في الفترة من ٢٠ إلىٰ ٢٢ أغسطس ١٩١٤.

٣ غوتهارد: هي منطقة جبليّة تقع في سلسلة جبال الألب في سويسرا.

٤ لوغانو: مدينة في سويسرا.

٥ باتيتيك: بحيرة تنبثق منها أعمال للموسيقار العالمي "تشيكوفسكي" في سيمفونيات عظيمة.

الدّول الّتي زارها، الألوان، اللّوحات والوجوه. لكن كلّ الموسيقىٰ الّتي سمعها، أصوات النّاس الّذين أحبّهم، أصوات الهواء الّذي تنفّسه، ومن الأرض الّتي داس عليها، وأخيرا الحياة المتناسقة، غناء النّاس والأشياء. مثلما يحدث مع فاقديّ البصر، فهذه المادة غير الملموسة هي الّتي تستطيع الوصول إلىٰ أعماقه، وفي أيام الذّكرىٰ الحزينة (مثل هذا اليوم) يأتي من النّسيان لتعبئة الهواء، الحصىٰ، الشّاطئ، بصدىٰ مؤلم، نادرًا ما يبدو لي أنّ تعريف الكآبة الّتي قدّمها "أندري جيد"[1] في كتابه "الأطعمة الأرضيّة" تمّ التّحقّق منه بشكل أفضل من هنا. من قِبَلِ هذا الرّجل وفي هذه اللّحظة من العزلة المؤثّرة:

وما الحزن الشديد إلا تلك الحماسة الباهتة

لذلك ظهر عمله الأول في أوائل عام ١٨٧٢، وقد كتب إليه "فاجنر" مجيبًا علىٰ بريده: "لم أقرأ أيّ شيء أجمل من كتابك"، فيما قالت "كوزيما": كتاباتك تجيب عن أسئلة طرحتها علىٰ نفسي في الدّاخل. ثمّ أضافت مرّة أخرىٰ: ما أجمل كتابك، وكم هو عميق وجريء، أتساءل في وجل من سوف يجازيك؟ ولكنّي لا أعرف فمن مبدأ الأشياء عليك أن تتلقّىٰ أكبر مكافأة.

---

١ جيد: كاتب فرنسيّ ولد في (٢٢نوفمبر١٨٦٩ وتوفّي في١٩فيفري١٩٥١) في باريس .

وإذا أحسست أنّك جُزيتَ بمكافأة عليك أن تعرف كيف تعدّل مزاجكَ الكبير، والبنّاء في انسجام مع العالم الخارجيّ حيث ترغب أن تعيش.

لقد دعوت في هذا الكتاب شياطين كنت أؤمن أنّهم مطيعين لسيّدنا الوحيد. في عالمين أحدهم غير مرئيّ بالنّسبة إلينا لأنّه بعيد جدًّا عنّا، ولا نعرف الآخر لأنّه قريبٌ أيضًا. لقد بدوت أكثر وضوحًا حتّىٰ نتمكّن من ذلك، ونقبض عن الجمال الّذي كان نعمة تسعدنا، ونحن نفهم البشاعة الّتي كانت تحطّمنا. تورينا سعادتنا، وترسلها إلىٰ لمستقبل الّذي هو حاضر في قلوبنا بطريقة طافحة بالأمل تمكّننا من القيام بصلاة نكون فيها منتصرين.

"لا أستطيع أن أقول لكم بكم كتابك؟ أين تلاحظ ببساطة حقيقيّة مأساة وجودنا، فقد بدت لي أنّها ترفع الفكر...فقد قرأت قصيدة يمكن أن تفتح لنا المشاكل الأكثر صعوبة. وأنا لا أستطيع أن أحسم بها، ليس أكثر من السيّد الّذي يوفّر إجابة لكلّ الأسئلة اللاّواعيّة لروحي.

كلّ ألمانيا المثقّفة مضطربة تصيح وتنحاز مع أو ضدّ هذا المبتدئ الجزيء الّذي يعلن "لفاجنر" ولادة الفنّ الحديث. و تحت هذه الحرب الجماليّة الّتي ستستمرّ لسنوات تزعج أوروبا الموسيقيّة حيث تتشكّل المأساة الأخرىٰ في مفارقة المحيّرة للعقل أن يكون يوحنا "جون

لبابتيست"[1] سرعان ما يصبح له "فاجنر" "جودا"[2]. الآن، يشعر نيتشه مرّة أخرىٰ باضطراب لا يطاق.. بعنفه فهو يدرك أنّه سيزداد سوءًا لأنّه علىٰ قدر كثير من الحبّ، علىٰ قدر كثير من خيبات الأمل، الّتي يمكن أن تؤدّي فقط إلىٰ زيادة المعارضة الّتي لا يمكن إلىٰ الأبد تبرير ذاتها. ولكن "بايرويت" ليست أصغر حجمًا من عمله. كان رفقة "ليزت" أحد النّبيين الاثنين. والفجر الّذي قام هناك علىٰ مسرح الاحتفالات يكرهه بشكل غريزيّ دون أن يجرؤ علىٰ الاعتراف به لأنّه سيؤدّي إلىٰ غروب "تربوشان".

بعد مرور ستة أشهر أخرىٰ، الأشهر السّتّة الأخيرة. تتقارب الزّيارات. كان يعدّهم: ثلاثة وعشرون في المجموع خلال هذه السّنوات الثّلاثة. تقترب السّاعة من وداع هذه القطعة الصّغيرة من الأرض المباركة. هي آخر أيام عيد الفصح: نخبّأ البيض لتسلية الأطفال، ونقدّم لبعضنا هدايا صغيرة، ما زلنا نسير معًا علىٰ هذا المستوىٰ العالي أيضًا في ربيع معسول، وفي هذه الأزقّة نفسها الآن حيث هذه الشّابة الأجنبيّة الّتي تستمع دون أن تقول كلمة واحدة للمونولوغ الوعر لنيتشه.

---

١ جون لبابتيست: يوحنا.

٢ جودا: يُعدّ يهوذا الإسخريوطي وفقًا للتّقاليد المسيحية، أحد رسل يسوع النّاصري الاثني عشر بحسب الأناجيل الكنسيّة، فقد سهّل يهوذا القبض علىٰ يسوع من قبل رؤساء كهنة أورشليم.

أخيرًا، وفي اليوم الأخير أي آخر يوم سبت من شهر أبريل كان "فاجنر" يقيم في "بيروث". فيما كانت "كوزيما" تستعدّ لمغادرة المنزل دون رجعة أين كانت تعيش منذ سبع سنوات حيث ولد ابنها، وتمّت كذلك كتابة العديد من الصّفحات المجيدة، وتعرّفت من جهة أخرىٰ علىٰ هامش الإعجاب العاطفيّ الّذي تكنّه إلىٰ الرّجل الكبير الشّيخ، هذا المعلّم الصّغير، المتواضع، والمتحفّظ جدّا. ومع ذلك هي تخمّن أن كلّ هؤلاء الّذين يرتجفون بحنان طاغ، من يدري أيّ شكوىٰ، أو هيجان فكريّ ينفجر في يوم مّا من هذه الرّوح البارعة نتيجة للقيود الّتي عاشتها منذ فترة طويلة، لانّ هناك دائما انتقام من القلب. فمن كان شهيدًا ربّما سيصبح في يوم مّا جلاّدًا حتّىٰ لو كانت كراهيته لا تهدف فقط إلىٰ استيائه مرّة أخرىٰ، ليس الفرح أقلّ تأثيرًا حتّىٰ لمن يتجاهل قوّتك. لم تكن اللّعبة متساوية بين الملحن اللاّمع والمسئول الصّغير الّذي بالكاد يخرج من الظلّ. لكن سيحين الوقت ويجب أن يحين عندما يجرؤ نيتشه ويتنافس مع "فاجنر" حيث سينتصر "ديونيسوس" علىٰ "سيغفريد"[1] ويستطيع حينئذ مرفوع الرّأس أن يدّعي شرف معرفة الحبّ.

لقد كان في هذا السّبت من أبريل سنة ١٨٧٢ ذا علامة وداع شديد الأهمّية إذ كانا "كوزيما" ونيتشه مشغولان بين الغرف غير المفروشة والأطلال حيث امتدت الكآبة في الهواء وبين الغيوم. بعد أن امتنع الكلب

---

١ سيغفريد: هو أمير محارب صاحب قوّة كبيرة، وكذلك صاحب أعمال بطوليّة عديدة ، مثل: قتل التّنين في الأساطير الإسكندنافيّة..

الكبير "ترينوف" عن الأكل. فقد كان الخدم في حالة تشنّج، "أريان" نفسها كانت مراقبة حتّىٰ أمام أيّ تعبير ممكن من مشاعره، محاولة دون تفكير إثارة اضطرابه حيث اضطرّ نيتشه للفرار. في نهاية المطاف رأىٰ نيتشه أعظم سنوات شبابه وأجملها تنهار أمام عينيه. فكان جلّ ما أراده الصّمت التّام والاستعادة الكاملة لذاته. وبدأت فجأة مرحلة جديدة من حياته تفتح أبوابها أمامه. فقد كتب إلىٰ صديقه "جارسدورف" هل كان يتذكّر ذلك؟ "لا تلومني فإذا كان عليّ أن أضع علامة هنا وهناك في مراسلاتنا، فتذكّر أنّه كان شيئا مهمًّا".

وبعد عشرة سنوات منذ تلك الأحداث، وفي هذا اليوم من شهر ماي سنة ١٨٨٢ ماذا حدث "لناكسوس"[١] الّتي هجرتها الآلهة؟

كان المنزل مسكونًا من بعض الأجانب. وكانوا يمشون في الحديقة، ويجلسون بجانب البحيرة. آه... هو مشهد حزين وجميل. إنّ الّذين يعرفون صمتكم اللّطيف، ليؤجّجون بقوة جروحنا! ظلّ نيتشه صامتًا لفترة طويلة، وبعد أن تحدّث غاص في ذكرياته. (إنّ الذّكريات هي جرح متقيّح) هذا ما سيكتب قريبًا. ثمّ أردف قائلًا عن كلّ ما عان من "فاجنر" وفنّ "فاجنر". وأشار إلىٰ التّضحية الّتي قدّمها إلىٰ نفسه، لأنّ هذا الغزو البطيء كلّفه فرح شبابه حتّىٰ صحّته فقد فقدها أيضًا. فكأنّ الآلهة أرادت

---

١ ناكسوس: جزيرة يونانية تقع جنوب بحر إيجي، وأكبر جزيرة في "سيكلاديز" حيث تغطّي مناظرها الطبيعيّة الخصبة القرىٰ الجبلية والآثار القديمة والشّواطئ الطويلة.

معاقبته علىٰ نكرانه، حزنه الفكريّ، أوجاعه وعزلته. كلّ شيء بدأ من هذه الفترة القاسية حيث كان من الضّروري ابتعاده عن معتقداته البريئة للدّخول إلىٰ المرحلة المرضيّة، ولكنّه كان محرّرًا من معرفة الذّات، ومن ولادة الذّات. وربّما يمكن أن يكون هذا هو الجرح الغريب "والكيري" عبقريّ أعمىٰ أو نائمًا، أيقظه سيف "سيغفريد" الحاد، هو الألم الشّديد الّذي لا يعرفه معظم الرّجال، لأنّ قلّة منهم ليس لديهم الشّجاعة للقيام بهذه الفتوحات الصّعبة. والآن فقد صار يكرّس حياته لها. وربّما يكون هذا التّكريس بمثابة الانتحار.

ولكن "لو سالومي" هذه مهما كانت حسّاسة؟ هل يمكن لها أن تفهم كلّ ما قالته هذه الرّوح العنيفة عن هذا السّلوك الّذي يجب أن يخيف هذه الرّوح الّتي تبحث عن السّعادة. كان نيتشه صامتًا. لقد تحدّث بصوت منخفض، وهو يرسم علىٰ الرّمال بطرف قصبة مثلما كان يفعل يسوع، وهو يكتب علىٰ الأرض أمام فتاة زنا. وعندما نظر إلىٰ الأعلىٰ رأت عينيه ممتلئتين دموعًا.

وافترقا من جديد، حيث ذهب نيتشه إلىٰ "بال" لزيارة صديقه البروفيسور "فربيك" وزوجته، من هناك إلىٰ "توتنبارج" في غابات "تورينق" فيما اخوتيه "ليزباث" و"ري لو سالومي" ضربا موعدًا وتقابلا قريبًا جدًّا من هناك، في "بايروث" في أواخر شهر جويلية من نفس السّنة، في أول عروض "برسيفال". وقد حملت "لو" كخيار مقالة لفيلسوف

تحت عنوان " فاجنر في بايروث" مصاحبة بملاحظات جديدة. فقد كان يعتقد أنّ من خلال هذه الإصلاحات سوف تتمكّن من معرفة كيف تقرأ ما بين سطور هذه الكتابة القديمة، وستكتشف هناك أنّه في معظم أيّام"فاجنر"، كانت كلّ خيباته قد تعرّضت للخيانة فعلًا.

ومن شدّة الغرابة كما يبدو كان متمسكًا بهذه المحنة. محنة النّار، هناك متعة خاصة لبعض النّفوس الّتي لا يمكن إشباع كبريائها، ويتمّ استفزازها في مسألة حبّها عن طريق إغراءات شيطانيّة علىٰ أمل الانتصار عليها للوصول إلىٰ داخل قلب نيتشه، كان علىٰ المرء أن يعبر لهب "فاجنر" دون أن يحترق به حيث وقف بنفسه وراء هذه المنطقة النّارية مثل السّيف وراء التّنين مثل الرّوح خلف الحواس.

حقّق "بارسيفال"[1] النّصر "تحيا كاليسترو" كتب نيتشه بغضب شديد"، لقد تحصّل السّاحر العجوز علىٰ نجاح باهر، كان السّادة القدامىٰ يتنهّدون ..." من جديد انتصب "فاجنر" في طريقه، وسرق منه روحه الّتي كان يهتمّ بها أكثر من غيره. كان مرتبكًا وكان عليه أن يفهم أنّه لن يتمكّن من استرجاعها أبدًا.

---

١ بارسيفال: أوبرا في ثلاثة أعمال لريتشارد فاجنر، مبنيّة بشكل فضفاض للكاتب "ولفرام فون إشنباخ"، وهي قصيدة ملحميّة من القرن الثّالث عشر لفارس " آرثر بارسيفال" وسعيه إلىٰ الكأس المقدّسة.

كانتا "لو" و "ليزباث" تركضن الىٰ "توتنبارغ" نحو النّزل حيث كان نيتشه بانتظارهنّ ليلة سفره إلىٰ "بايروث" وقد كانت للآنسة نيتشه مقابلة مع "فاجنر" أين كان هذا الأخير رغم انتصاره، بدا له مرهقًا جدًّا. ربّما كان يبحث عن تقارب أو مصالحة مع تلميذه، لكنّه يعلم أنّ ذلك مستحيلًا. قولي لأخيك أنّه منذ أن تركني صرت وحيدًا، ولم يرغب نيتشه في سماع هذا النّداء الهامس بل أكثر من ذلك لقد بدأ في إزالة السّموم من عقل الفتاة التي يحبّها.

وبعد سرّ الألم المسيحيّ كان علينا أن نفهم المأساة الأكثر واقعيّة للوجع الإنسانيّ. أن تقبل الألم. وأن تحبّ الألم لأنّه قدرنا وحياتنا ولأنّنا دونها نحن لا شيء. ولماذا؟ إله يحبّ الرّجال شرط أن يؤمنوا به، سينظر هذا الإله بشكل فظيع حاملًا تهديدات إلىٰ كلّ من لا يعتقد في حبّه. كيف؟ هو حبّ بين معقّفين، أهكذا سيكون شعور ربّ قدير؟ حبّ لم يتمكّن بأن يكون سيّدًا إلىٰ حدّ نقطة الشّرف أو الانتقام المزعج. إلىٰ أيّ حدّ كان ذلك شرقيًّا، إذا كنت أحبّك، فهذا لا يهمّك في شيء؟ فعلا هذا نقد كاف للمسيحيّة. ومع كلّ ذلك، ألم تكن "لو" يهوديّة؟ الألم والمتعة هما حكمتان. "نحن الفاسقون"، "نحن المشرّدون".

وهل فهمت هذا أخيرًا؟ هي لا تفهم ذلك، لقد كان يحاول إقناع نفسه أنّه احتقرها. كان يشعر بالغيرة حين كانت تغازل "بول ري"، وكم كان يكره خصوصيتهما. ومن جديد مرض مرّة أخرىٰ،

وأرسل إليه التّذاكر من غرفة إلىٰ أخرىٰ،" في السّرير مدخل صعب. أحتقر الحياة"، متناسيًا كم كان يشيد بها، وكم قدّم من تكريم لتلك المعاناة الكبيرة. في ١٣ من يوليو كتب إلىٰ "بيتر جاست": (هذه الفتاة الصّغيرة لها نظرة ثاقبة نظرة نسر، وشجاعة أسد). وفي الرّابع من أغسطس: (لقد مرّ ذلك العصفور، الّذي لم يكن نسرًا).

قامت السيّدة "سالومي" بكتابة قصيدة عن الألم، فيما تمّ نقل نيتشه علىٰ الفور لمّا ألهمته ترنيمة الحياة وهو تفسير موسيقي كنّا قد تحدّثنا عنه. فلنبدأ من جديد أكثر من مرّة قبل أن نتجرّأ ونكتب بحرارة أنّها من أعمال "فاجنر"، ولكن هذا ما حدث، وماذا كان علىٰ نيتشه أن يفكّر حين تلقّىٰ من "غاست" إجابة عن هذه الرّسالة. هذه السّطور: ....

(إنّ الموسيقىٰ الخاصّة بك تجعلك مسيحيًّا. لو كنت قد أرسلت لي الموسيقىٰ دون نصّ، كنت سأؤمن بمسيرة محاربة للمسيحيين....). مسيحيّة وفاجنريّة هكذا كانت الرّوح الموسيقيّة لنيتشه تلك الّتي لا تفكّر في التّوبة من الرّوح، ولا تتحدّث عمّا لا يوصف.

فقد كان كلّ ما يؤلّفه منذ طفولته فيه صبغة "فاجنر". وكانت مقطوعة "اوريتاريو"[1] علىٰ سبيل المثال في عامها الثّالث عشر بلهجة

---

١ أوراتاريو: هو عمل غنائيّ دراميّ يتمّ إجراؤه من دون عرض مسرحيّ أو أزياء أو مجموعات. ومع ذلك قد يكون هناك مكان في الفضاء. تتكوّن النّتيجة عمومًا للأصوات المنفردة والجوقة بالإضافة إلىٰ أصوات الجوقة والأصوات المنفردة مع الأوركسترا، وأحيانًا مع الرّاوي. ودائمًا يكون الموضوع دينيًّا.

وتعبير "بارسيفال" *. وعندما وجدها في أوراقه كان خائفًا من المفاجأة ومن القرابة السرّيّة الّتي تربطه "بفاجنر". لكن أليست نقطة منطقيّة؟ فهذا الاكتشاف شديد القرابة إلىٰ حساسيته، فيما كان ذكاؤه النّقديّ يكافح من أجل ذلك. فقد كان واحدًا من هؤلاء الّذين ينكرون، ويتنكّرون لضرورة حسيّة. فقط هي الطّريقة الوحيدة لتأكيد أنفسهم أمام ذواتهم، وحتّىٰ وإن حصل لومهم فليس مهمّ ذلك بتاتًا، ويمكن أن يكون ذلك أفضل بكثير. توسّلت المسكينة "ميسينبوغ" إلىٰ نيتشه للعودة إلىٰ "شوبنهاور" وإلىٰ "فاجنر"، كان يبتسم بشفقة. وحين اقترح عليه صاحب دار النّشر في بدء بعض الأعمال أكثر شعبيّة وجماهيريّة، صار ساخطًا، وأكّد استمرار تمسّكه بطريقه الوحيد.

لم يعيش نيتشه في الخطيئة، دعونا نكرّر ذلك مثل العديد من المتمرّدين العظماء. لقد كان نقيًّا. ومثل الكثير من الطّاهرين، كان يملك قلبًا مسيحيًّا. فنحن لا نرىٰ بالفعل أنّه عاش فقط للآخرين، ومن أجل سعادة الآخرين، من أجل خلاصهم الفكريّ. فقد كان الكمال بالنّسبة إليه هو الحقيقة. وكان يهدي وفائه للفكر والرّوح، وتنازلاته للمعرفة مثل أعظم القدّيسين المسيحيين، فهو أيضًا بطريرك الفقر. وأنا أنظر إليه حيث كانت تقضمه المعاناة الجسديّة، معزول في إيمانه الروحيّ، شغوف عن سعادة الرّجال. وأقنعني أنّه المثال الرّائع لأولئك الّذين أدّع يسوع أنّهم خدم الله. فإذا كانت مملكة الله هي حالة فرح مستمدّة من كلّ تضحياتنا

الّتي امتلكها أفضل بعد "فرنسيس الأسيزي"[1] من نيتشه؟ وأخيرًا دعونا ننظر أنّه في قمّة هذه المرارة الجديدة وعند هذه النّوبة من الخيبات سوف ينفجر في هذه الحياة الّتي هي أجمل ثمرة للألم: عمل فنيّ مثاليّ.

هل خانته الصّغيرة "لو"؟ هي كلمة قويّة لمن لا يعرف الحبّ. ولكن يبدو في نهاية الأمر أنّ "ري" صارت عزيزة، وصار نيتشه أكثر غرابة. وافترقا مرّة أخرىٰ، ثمّ التقيا مرّة في الخريف لبضعة أيام في "لايبزيغ". وكان عرض الزّواج الّذي وُضع أخيرًا مرّة أخرىٰ قد رفض بلطف. يبدو أنّ الآنسة نيتشه الّتي كانت تكره الشّابة الرّوسيّة، كانت كذلك إلىٰ حدّ كبير تمثّل العامل المؤثر للانفصال الّذي يريده شقيقها كأنّه الخلاص. وافترقا وكتبا لبعضهما بعضا رسائل كان لا يمكن السّماح بها. وأخذ نيتشه القلم لآخر مرّة:

"أيّ رسائل أكثر من رسائلك، "لو"؟ إنّ الحدود الضيّقة للانتقام نكتب مّا يشبهها. ماذا يمكن لي أن أفعل بهذه المآسي؟ افهميني إذا؟ أرغب أن تشعري أمامي أنّك أصبحت أكبر وليس لك أن تشعري عكس ذلك. كيف تريدين أن أسامحك إذا لم أجد فيك أوّلًا الصّفات الّتي من أجلها يمكنني أن أغفر لك، كم كنت مقصّرة في التّبجيل، في الامتنان، في

---

١ ولد "فرانسيس الأسيزي جيوفاني دي بيترو برناردوني" في "أسيزي" عام١١٨١ أو١١٨٢ وتوفّي في٣ أكتوبر١٢٢٦ وهو متديّن كاثوليكيّ إيطاليّ ومؤسّس لرهبانيّة الإخوة القصّر، الّتي تتميّز بإتباع المسيح في الصّلاة والفرح والفقر والتّبشير وحبّ الإنسان.

التّقوىٰ، في المجاملة، في الإعجاب، في اللّطف، فأنا لم أتحدّث عن أشياء أعلىٰ قيمة.

لم أكن مخطئًا بشأن أيّ إنسان حتّىٰ الآن، لقد رأيت فيك تلك الأنانيّة المقدّسة الّتي تجبرنا علىٰ استعمال أجمل ما يكمن داخلنا. أنا لا أعرف أيّ تعويذة شرّيرة تعين أنانيّة القطّ في حبّ الحياة.

- وداعًا، العزيزة "لو"، لن أراك بعد اليوم.

غادر علىٰ الفور إلىٰ "بال"، وقال لأصدقائه في "أوفربيك": "سأدخل اليوم في عزلة تامّة"، استجوبته السّيّدة "أوفربيك" لأنّها شعرت أنّه يخرج من نوبة صرع حاسمة، وقد رغبت في أن تقول له سرًّا يتمثّل في أنّها لم تعد تجد ذاتها في مسألة الدّين، فليس لديها عزاءً ولا إمكانية لتحقيق ذلك: "فلم تكن فكرة الله في حدّ ذاتها كافيّة بالنّسبة إليها في محتواها الحقيقيّ". وقد أجابها نيتشه وهو في حالة تأثّر شديد:

- أنت تقولين ذلك فقط لمساعدتي، فلا تتركيها أبدًا، أنت تملكين فكرة الله هذه دون وعي، لأنّ مثلك أنت، ومثلما أجدك دائمًا، وحتّىٰ هذه اللّحظة بالذّات، فكرة رائعة تتحكّم في حياتك كلّها، وهذه الفكرة الرّائعة هي فكرة الله. وكلّما تمنّع عن ذلك يبدو له أنّه يرىٰ من الضّروريّ ترك ما يقتات به الآخرون، ربّما يصبح بالنّسبة إليهم أكثر قبولًا.

- ثمّ أضاف، أنا تخلّصت من هذا الأسلوب في التّفكير، أرغب أن أخلق شيئًا جديدًا، فليس لديّ الحقّ في العودة إلىٰ الوراء. فبسبب شغفي، سأغرق، ويرمونني من هنا، وهناك أفقد توازني، ولكن كلّ هذا لا يهمّني.

"إذا لا تتراجع، واذهب بعيدًا، أبعد أكثر ممّا يمكن، هي الشّعارات الّتي كان قد أطلقها نيتشه، وتولّىٰ بعد ذلك "أوسكار وايلد"، ثمّ من قِبَلِ "جيد"، فقد كتب "شارل دي بوس" في كتابه "حوار" أن الإغواء الأكبر الّذي يتعرّض له الفكر الحديث هو ذلك الّذي ينجح الشّيطان فيه وهو استهلاك الوقت. ربما يكون ذلك صحيحًا، ولكن قد تكون هذه الاستكشافات الروحيّة والفكريّة مجرّد فخّ تقع فيه الإنسانيّة الفانية، ولكن يكفينا شرف المحاولة بالنّسبة لنيتشه كانت إيطاليا تمثّل المكان الوحيد الّذي يمنحه تلك المواساة اللّطيفة، بعد هذه الأشهر الطّويلة من حالة سوء الفهم العاطفيّ. فقد كانت روحه تفتقر إلىٰ الجسد، كما قال أكثر من مرّة. وجد "جنوة" واكتشف "رابالو" و"بورتو فينو" و"زواجلي" حول هذه الخلجان بين قرىٰ الصيّادين، وتحت أشجار الصّنوبر الزّرقاء، لقد لمحنا منافقين يهودا القديمة يتجوّلون ولم نكن ندرك أن كانوا أنبياء أو شياطين. لقد أطلقوا عليهم أهل "جنوة" "القدّيس الصّغير" الّذي كان يحمل في حقيبته مخطوطًا يحمل تصديرًا: "هكذا تكلّم زرادشترا"، وهو كتاب للجميع وليس لأحد.

"نحن لا نستطيع أن نحبّ إلا الأشياء الّتي خلقناها" هكذا قال "فليري". فيما أجابه "مورياك" عن جملته: "لا يمكننا أن نحبّ إلا من خلقنا ..... أمّا ما نصنعه علىٰ العكس من ذلك هو ما نرفضه، لأنّه مات". هذان هما الموقفان المتميّزان للمفكّر والمسيحيّ. أوّلاً كلّ السّعادة في الذّات أو بالذّات، كلّ المتعة، كلّ الحياة.

بالنّسبة للإنسان فما قيمة الرّجل إلا من خلال قدرته علىٰ أن يصبح مرّة أخرىٰ ابنًا لمائة حبّ أكثر شهامة منه. وما يعطي المسيحيّ هو عودة الحقّ لأصحابه حيث دموع محترقة يرشّ بها خطيئته البغيضة. ولكن رجل الفكر والرّوح يغذّي كبرياءه حتّىٰ عندما يكون سرورًا محيطًا بخيبة أمل. إنّما سوء الفهم هو الّذي يقسّم دائمًا الأرواح الأكثر علوًّا. لقد قال أحدهم أنّ ملكوت الله ليس من هذا العالم، وأضاف آخر علينا أن نحبّ الأرض. وأقصىٰ الحالات هذا فرق بسيط بين النّظرة القديمة الّتي وضعها "القدّيس بولس" في كتابه "رسالة إلىٰ الرّومان" بين الّذين عبدوا الخالق وبين الّذين خدموا المخلوق.

إنّ أعمدة الشّعر الإنسانيّ رغم هذه الاختلافات تمتزج في جذورها، وينطلقون من نفس القلب، ويقتاتون من نفس العصائر. ولكن هناك اختلاف بين الزّهور والفواكه. ومن سيقرّر ذوقهم وجمالهم؟ ومن

سيحكم بين "يسوع" و"زرادشترا"؟ دعونا نستبعد أيّ فكرة من أفكارنا عن المعصية هنا. فنحن لا نسعىٰ إلىٰ مساواة الإنسان بالله. ولكن عكس أن نفهم لماذا كلّ واحد لا يحمل في ثروته العاطفيّة إلا فاكهة نادرة بنكهة مريرة.

والآخر ريفيّ متواضع مثقّلًا بالموروث الإنسانيّ. فيما ملايين يعيدون قراءة الأناجيل، وربّما يعيد بعض مئات قراءة "زاردشترا". فكيف تستهوي القلوب الحزينة سارق الأفراح؟ "زرادشترا" يرغب أن يراقص حياته، أن يراقص الله. إنّه يرفع إرادة القوّة. يخلق أخلاق السّادة. إنّ جنّة يسوع مفتوحة للعبيد فقط، للضّعفاء، للمتألّمين. أخلاق المهزومين والفاشلين، هكذا يقول نيتشه، لأنّ الله لا يهتمّ إلا بالخراف التّائهة. فيما يهتمّ نيتشه فقط بالأغنام الحكيمة، ولكن الجريئة الّتي لا تقع في الهاوية، وتتسلّق القمم.

عليك أن تختار بين القويّ والضّعيف، وإرادة الإنسان تتّجه بطريقة غريزيّة نحو الضّعيف. لأنّ الضّعيف مليء بالأوهام والوعود. يجذب بغموضه وظلّه وإمكانياته واستحالته...." هناك دعاة للموت، لأنّ العالم مليء بأولئك الّذين علينا أن نعظهم بالابتعاد عن الحياة.

نغريهم خارج إطار الحياة بإغراءات الحياة الأبديّة"، كلّ هذا من إكراهات الرّوح. وهؤلاء هم من نسمّيهم الصّالحين. إنّهم المتعفّفون. فدعونا نوضّح لكم ذلك: العفّة رغم قلّة إدراكنا

لـذلك، والطّيبـون بسـبب افتقـارهم إلـىٰ الحـسّ النّقـديّ، العشّـاق الّـذين ينسـون القـانون الحقيقـيّ لكـلّ علاقـة حـبّ، أنانيتـه. الآن "زرادشـترا" يعلّـم حـبّ الحيـاة، ولـيس حـبّ المـوت. إنّـه يعلّـم الحـبّ الأبعـد ولـيس الحـبّ القريـب. قـال: أرنـا إن كنـت مـن الّـذين يطمعـون. أن تكـون أنـت مـن بـين أولئـك الّـذين يحـدّدون خيـرهم وشـرّهم لـيس لأنّـك تهـرب مـن العبوديّـة، ولكنّـك تتحمّـل عبوديتـك. ابتعـد عـن الخيـر والصّـالحين. وابتعـد عـن البسـاطة المقدّسـة. لقـد قـال للنّسـاء: فلـيكن مـن الشّـجاعة في حبّكم، فلـيكن شـرفكم دائمًـا أن تحبّـوا أكثـر ممّـا يحبّـونكم. كمـا كـان يقـول أيضًـا أنّ الحـبّ لـيس عمـلًا خيريًّا. غالبًا مّا يكون غبيّ يتنبّأ بغبيّ آخر.

لقد مات يسوع في سن مبكّرة، وكان العبرانيون حزانىٰ طيلة مرحلة شبابهم. إذ لم يكن لدىٰ المسيح وقت للضّحك. فيما لم يكـن لديه وقـت للتّراجع. فلم يكن لحبّ هذا الشّـاب خبرة أو نضـجًا، لـذلك كـان يحتقر النّاس والأرض. ولكن لا تنسىٰ أبدًا أنّ تلك هي الحياة، حياتك الّتي هي الحياة الأبديّة.

هكذا تحدّث "زرادشترا" في كتابه الأوّل، وهكذا تحدّث بعد ذلك، كما كان يقول، وكما قال "جيد" في كتاب "القوت الأرضيّ": "الآن آمرك أن تفقدني، وأن تجد نفسك مجدّدًا".

اكتمل في عشرة أيام، من أوّل إلىٰ ١٠ فبراير ١٨٨٣، هذا الكتاب الأوّل الّذي كتبه نيتشه تحت إملاء أصواته، دون تردّد وتقريبًا دون محو، وفي نشوة الطّرب الّذي يُبكي في بعض الأحيان. وفي القيود والضّوابط أيضًا، يقول: "لم يكن لديّ الخيار مطلقًا". في الصّباح كان يسير نحو الجنوب، علىٰ الطّريق الجميل الّذي يصل إلىٰ "زواجلي" ومرتفعاتها عبر غابات الصّنوبر بعد الظّهر، يتجوّل في خليج "سانتا مارغريتا" حتّىٰ آخر "بورتو فينو". هذه طرق نحو دمشق، هذه أماكن رؤاه. هناك تمّ كشفه "لزرادشترا". لقد كان يأخذه إحساس بالهزيمة. وكان يشعر أنّه خفيف مثل إنسان يمكن له أن يموت دون ندم. فهو الّذي كان يخشىٰ لفترة طويلة ألا يتمتّع بالصّحة الكافية للقيام بمهمّته. إنّ القوىٰ الصّغيرة ليس لديها واجبات عظيمة، لكنّ الطّبيعة تمنح دائما لكلّ الفنّانين الوقت اللّازم للتّعبير عن أنفسهم. إنّ حيويتهم مرتبطة بطريقة سرّيّة بعملهم الفنّيّ. لم يمت بيتهوفن إلا بعد السّيمفونيّة التّاسعة. وإذا مات "بودلير"، "رامبو"، "بيزات"، "شوبان"، توفّوا صغارًا فلا شكّ أنّهم أكملوا أغنياتهم.

كان نيتشه مليئًا بالنّذر. لقد توفّىٰ أبوه في السّادسة والثّلاثين من عمره، وهناك لغز فسيولوجيّ في مسألة التّوازي بين طول عمر الأب وأبناءه فيما كان في مرحلة "زرادشترا" يمرّ نيتشه بالعمر الحرج لذكور عائلته، وهذا يشعره بنزول ميزان الحرارة الحيويّ. فقد كتب في هذا العمر إلىٰ "جاست": "لقد وصلت إلىٰ أدنىٰ نقطة..." - "أنا الآن في السّنوات الّتي مات فيها أبي....." أفلم يغنّي قصيدته هو الآخر أيضًا، والآن حين

ولد ابنه كيف سيجد مبرّرًا جديدًا للحياة؟ كان سيكتشف ذلك وبطريقة غير متوقّعة.

في ١٤ من فبراير، عاد نيتشه إلىٰ "جنوة"، فتح الصّحيفة، ورأىٰ خبر وفاة "فاجنر". في نفس اليوم الّذي اختفىٰ إلهه القديم (مات إله آخر!). لقد خلق الإله الجديد وهو موضوع رائع للإثارة. "في نفس تلك السّاعة المقدّسة"، كتب يمكننا أن نرىٰ كيف يتمّ تمرير الشّعلة، علىٰ الفور أخذ القلم، وكتب إلىٰ "كوزيما": " لا، ليس ما خسرته، ولكن ما هو بين يديك الآن، إنّي أراه يقف أمام روحي ... وأنا أنظر إليك مثل أكثر النّساء تكريمًا في قلبي".

كان بداخله إحساس تجاه هذه الجثّة، حيث قال "لجاست" إنّه من الصّعب أن تكون عدوًّا مدّة ستّة سنوات لشخص لطالما كنت تقدّره، ولكن كان عليّ أن أقاوم "فاجنر" المسنّ. فبقدر مّا يتعلّق الأمر "بفاجنر" الحقيقيّ، فأنا إلىٰ حدّ كبير وريثه، والذّي كان يقصده حقّا نيتشه هو أن يكون وريثًا له في البعد الفكريّ، بالتّأكيد، ولكن في عظمته، وفي إيقاعه الأهوج، إنّه نوع من الهذيان المقدّس، مثلما كان يتذوّق تكراره، إنّ الفنّان الحقيقيّ هو ذلك الّذي يتوهّم وبطريقة معقولة. وبما أنّ المسألة لها علاقة بالعقل. فلماذا يرفض ليرىٰ ما كان "فاجنر" بالنّسبة إليه، لينصف وإن لم يكن ذلك علىٰ الأقلّ بالنّسبة للبشر؟ لقد أحبّه، أحبّه بعمق. وقال حقّا إنّه كان حبّا دون أفكار مسبّقة.

وكان يفكّر بحزن شديد في الوقت الّذي سمع فيه ميلاد آخر جزء من "سيجفريد" ..... ومع ذلك مرّت الأيام خاصة حين أطلّ علىٰ العالم طفله الحبيب "زرادشترا". ومازال تحت نفس النّشوة حيث أعلن لرئيس تحريره عنوان كتابه الجديد "الإنجبل الخامس"(تقريبا لا يوجد به اسم بعد، وإلىٰ حدّ بعيد كتبت عنه أخطر شهاداتي). كان يسأل عن هذه القصيدة المفعمة بالأحاسيس، لباس يليق به في أروع الكتابات حيث توجد في كلّ صفحة إطار.

مع ذلك، موسيقىٰ "بيزات"، "كارمن"، مشاريع سفر، هل ممكن "برشلونة" أو "كرامايور" عند سفح "موبلون"؟ كانت زوما، ساحة "باربيريني"، رقم ٥٦، وأخيرًا بيانو عند رسّام المناظر الطبيعيّة "مولر" هو سويسريّ، وهي مدينة مكروهة أكثر من مدينة خالدة بالنّسبة لنيتشه. إنّها تثقل تفكيره بكلّ كنائسها، وبكلّ رخامها الرّومانيّ، ثقل البربريّة علىٰ قلبه اليونانيّ أمام "بازيليك قسنطينة"[1] كان يصيح قائلًا: "فليكن صراع وعدم مساواة حتّىٰ في الجمال والحرب من أجل القوّة والسّلطة"، فهذا ما تعلّمناه هنا من هذه الرّموز الفنيّة الواضحة". ومع ذلك كانت مقاطع تصدح من داخله. "فان رغم الأبديّة" مثلًا، كان يعتقد ذلك لمّا كان الوقت يضيع مثل البخار، وتأخذ الفلسفة معناه الواسع.

---

١ كنيسة قسطنطين في تريف، هي في الأصل فناء خلفيّ رومانيّ، به أكبر غرفة منذ العصور القديمة. المساحة الدّاخليّة لهذا المبنىٰ في الطّول٦٧ م والعرض٢٧.٢٠ م، أمّا الارتفاع٣٣ م. وهي كاتدرائية وأحد مواقع التّراث العالميّ لليونسكو.

قام بتأليف مقطوعة ذات طابع ليليّ حيث مزجها مع كتاب "زرادشترا" الثّاني بصوت ينبوع "دو تريتون"[1]، في ساحة "باربيريني"، وظلال العشّاق تزحف على الأرصفة. كان وحيدًا على شرفته المرتفعة ينظر، ويستمع. "إنّ فقري يتجسّد في تلك اليد الّتي لا تستريح أبدًا من العطاء. وغيرتي هي أن أرى عيونًا في حالة انتظار دائم، وليال مشتعلة باللّهفة".

لقد تلاشت بالفعل، ومحيت من ذاكرته الصّغيرة "لو". في بعض الأحيان يتساءل لمَ لم يكن ألعوبة للهلوسة. ومع ذلك، منذ ذلك الحين لم يزل قلبها يؤلمها. لكن أليست معاناتنا هي الّتي نأسف عليها عندما نأسف على الحبّ، إنّ المعاناة الّتي نملك الشّعور بها ونداعبها تصل إلى حدّ الفرح؟ ومع ذلك، هي فرحة شديدة المرارة. تلك المرارة اللّذيذة، مثلما يقولوا شعرائنا شعراء القرن السّادس عشر، هذا هو العصير الّذي يسعد لإنعاش الكتاب الثّاني "لزرادشترا"، إنّه حسيّ، ومحبّ إلى أبعد الحدود حين يتحدّث نيتشه عن معاناته، عن معاناته الّتي تعايش معها، وكان يحترمها، وتمكّن من تجاوزها. الآن، قال المسيح لبطرس: "أحزم نفسك أنت الآن، واذهب إلى حيث ترغب أن تذهب".

---

[1] تريتون: فصيلة للسّحليات.

دون معلّم، دون تلميذ، أو صديق، مثل نيتشه كيف له أن يتعايش لتقوية الوحدة حوله. هذه السّاعات من الفشل والتّخلي حيث نصبح أصدقاء مع أيّ شخص، نادل، أو فتاة عاديّة، لم نعرفهم أبدا قبل ذلك. (في إحدىٰ اللّيالي في "تولون"[1] لمحت شابة متألّقة تدخل ملهىٰ، وتمسك بذراع بحّار شاب، لتعلّق قليلًا من وحدته في تلك العضلات الهادئة. استرخاء فوريّ يؤثّر علىٰ الفكر، ولكن نيتشه لا يحتاج أحدًا. يتحدّث مع الصّمّ، ويضيء للعميان، ولم يكن محبطًا. فبأيّ اعتقاد يكون لديك لتذهب في هذه النّصائح المذهلة دون أتباع أو أمل. لقد رغب أن يعطي للرّجال إيمانًا جديدًا وفرحًا، وسببا للعيش. وقد ملئ الشّعب الألمانيّ بلغة شعريّة تعيد صياغة لغتهم من جديد. حيث خلق موسيقىٰ لفظيّة غير معروفة.

"إنّي أتخيّل نفسي أنّني مع "زرادشترا" هذا قد أعدت اللّغة الألمانية إلىٰ الكمال، بعد "لوثر" و "جوته" بقي أن أفعل هناك خطوة ثالثة. أسلوبي هو الرّقص، لعبة التّناسق بشتّىٰ أنواعها. قفزة فوق هذه التّناسق وسخرية منه. وهذا يذهب إلىٰ حدّ اختيار الحروف الحلقيّة". لقد وهب لفرنسا تكريمًا روحيًّا لأهمّ الدّراسات النّقديّة في ذلك الوقت. وحرّر الأرواح علىٰ الأقلّ من الموانع الّتي تكمن في الأفكار المسبّقة، وقد كان يعتقد ذلك. لكن لم يعد أحد يسمع شيئًا.

---

١ تولون: مدينة فرنسيّة.

بمفرده كان النّاقد الدّنماركي "جورج براندس" يغوص في رعشة من الفضول في هذا الوادي المحفوف بالصّرخة الصّاخبة للآلهة الجديدة. والبرجوازيّ العجوز "تاين" وجّه بلطف بطاقة زيارة إلىٰ أمير الفكر. مغادرًا روما، لمدّة عشرة أيّام ذهب نيتشه في اتجاه "انجادين"[1] لمواصلة كتابة "زرادشترا" الثّاني. فيما نجد كذلك صورة للآنسة "سالومي"، غير محرّكة رأسها "سانن بايتيس" ولكن بحبّ. أنا فقط امرأة متغيّرة ومتوحّشة، وامرأة في كلّ الحالات، أنا لست امرأة فاضلة، رغم أنّني كذلك بالنّسبة لكم أيّها الرّجال، الأبديّة المخلصة، أو اللاّنهائيّة الغامضة. ولكن، أنت أيّها الرّجل، أنت تقرضنا فضائلك، يا إلهي كم أنت فاضل في الواقع كم تبدو لنا غبيّة، هي فضيلتنا.فأمام الطّبيعة الرّائعة للمرأة الّتي تعبّر دائمًا عنها الحقيقة المطلقة الّتي تجذبها إلىٰ الأرض: وهي رغبتها. للصّيد من جديد مرّة أخرىٰ في اتّجاه الرّيح، والأرض الصّلبة، والصّخور، والصّنوبر يئنّ تحت أشعّة الشّمس دائما في اتجاه أفق البحر الأبيض المتوسّط.

(نيس في نهاية ١٨٨٣ ومن جانفي ١٨٨٤)

"المسترال"[2]، و"بروفنسال"[3]، أشياء رنّانة وصارخة، خفيفة وصارمة مثل الرّوح. استقرّ نيتشه في البلدة القديمة غير بعيد عن الميناء. وقد كان

---

١ إنجادين: منطقة من جبال الألب السّويسرية تقع في "كانتون غراوبوندن" في الجنوب الشّرقي من البلاد قرب الحدود.

٢ الميسترال: ريح شماليّة جافة مرورها يلبّد السّماء بالغيوم، ويجفّف الهواء.

٣ بروفنسال: حركة إقليميّة.

يتجوّل كعادته ضاربًا بعكّازه أرصفة المكان للنّساء الشّهوانيات فوق حصىٰ الطّرق المحيطة. بعد بضع أسابيع من المعاناة إلىٰ حدّ أنّه كان يعتقد أنّه سيصبح مجنونًا، ويظنّ أنّه سوف ينزلق رويدًا نحو الانتحار، فجأة هناك نقاهة غير متوقّعة كأنّها القيامة والتجلّي. لقد اكتشف قرية مغاربيّة اسمها "إيز" في اتّجاه موناكو توجد علىٰ قمّة أسنان جبل إفريقيّ قديم. والكتاب الثّالث "لزردشترا" حيث كانت تعصف في أذنيه ريح قاسيّة تحت أغصان الزّيتون. همس لقلبه: "أنا مسافر، ومتسلّق للجبّال". "أحبّ قريبك دائمًا مثل نفسك، لكن كن أوّلا من أولئك الّذين يحبّون أنفسهم". "الّذين يحبّون بعضهم البعض بشكل كبير، أو باحتقار كبير هكذا تكلّم "زرادشترا الشّرير" إنّه علىٰ تلك الجدران الإسبانيّة أمام هذا اللّون الأزرق الإيطاليّ، وفي هذا الحفيف الخفيف للأوراق الفرنسيّة، لقد خلق نيتشه أيضًا روح المسيح الوثنيّة: هذا فصل للجّداول القديمة والجديدة. "عندما قصدت هؤلاء الرّجال وتحصلّت عليهم وجدتهم قابعين تحت وقع افتراضات قديمة حيث ظلّوا منذ مدّة يعتقدون أنّهم يعرفون كلّ مّا هو جيّد ومّا هو سيّئ عند الإنسان". ومن هذا المكان تحديدًا قمت بالتقاط، وأنا في طريقي كلمة الإنسان الكامل، وهذه عقيدة في حدّ ذاتها: حيث يكون فيها الإنسان فكرة يجب علينا تجاوزها. نعم، هذا هو المكان الّذي فهم فيه نيتشه جيّدًا أنّه تجاوز ذلك، ومن هنا أيضًا كما كان وكما أراد أن يكون في ذات الوقت الأكثر غنىٰ والأكثر فقرًا. لقد أضحىٰ "زرادشترا" كتاب التّنوير الحميم، وخزّان شجاعته. هو قصيدة تتدفّق من لاوعيه، ومن خلال هذا اللاّوعي الّذي يعتبره أكثر وفرة من

وعيه. بالإضافة إلىٰ ذلك كلّ أعماله انبثقت علىٰ يد قوىٰ الّتي رضخ لها، وكان صعبًا عليه قيادتها. لقد صاروا شيئًا آخر غير الّذي كانوا لأنّ هذه هي قوّة اللاّوعي، إنّه مازال في كلّ الحالات يشقّ طريقه في الحياة بكلّ أشكالها. فدور الشّاعر يتمثّل في وضع تلك الرسولة في مكانها، وترك كلّ ما سوف تعرب عنه.

وها هو إذن آخر أنبياء أوروبا المثقّفة، ماتت علىٰ وقع نغمات الحرب في رحلتها الّتي "سورينتو" إلىٰ البندقيّة. ومن "جنوة" إلىٰ" بورتو فينو"، ومن "سيلس ماريا" إلىٰ من تتوقّف بعد ذلك "إيز" لتتوقّف بعد ذلك بقليل في "تورين"، فقد تمثّل الرّحلة الأخيرة لشاعر روحيّ.

لقد اتبعناه علىٰ ثلاث مراحل: التمكّن من علم الوحدة والفقر. هو أن تحبّ بكلّ ازدراء، حتّىٰ الوجود. أن تنادي حفنة من الكائنات الّذين لا يضاهون مفهوم الإنسان الكامل. وهو عمل لم ينته بعد. كاد أن يكون اليوم مستحيلًا عندما لم يعد للحياة هدف يمكن فهمه، ولكنّنا نعيشها.

إنّ من صعد في سنة ١٩٢٩ لم يعد يستعير المسارات الحجريّة حيث كان يتسلّق الفيلسوف في ١٨٨٤. ولكنّه وصل إليها علىٰ سيّارته من خلال كورنيش الجديد، فقد كان يطير بهدوء غير قاس علىٰ حذائه المسنّن. سوف يرمي نظرة مشتّتة علىٰ الجدران القديمة والفقيرة، سوف يكون أكثر اهتمامًا بالقصر الرّائع الّذي أعيد تشكيله من قبل السّيّدة"بلسان فندربليت". الغبار يسود تفكير الشّمال، وفي المنتصف ورود نظرة للحياة.

لهم انتصارات سهلة علىٰ التّجريد، هذه الورود الأمريكيّة. وكم كان نيتشه سيوافق عليهم أن تبقىٰ مخلصًا للأرض هل كان له أن يقول ذلك وحتّىٰ لو كنت لا تعرف لماذا؟ وبكلّ بساطة لأنّها جميلة.

****

خرج من بلد لا يسكنه أحد

ما دام له مذاق الهواء النّقيّ، "فهو أجمل مكان للعمل، وهذه قطعة بيتزا "سان ماركو كتب في أفريل ١٨٨٥. الشّاطئ وأشجار الصّنوبر في"سورينتو"، وتحصينات "جنوة" القديمة، وخليج "ربالو"، وأشجار "تانوب" في "سلسماريا"، والمنعرجات الّتي توصل إلىٰ "إيز"، وأخيرًا المكان الغالي للقدّيس مرقس، وها هي مكتباتها، هؤلاء هم غرف العمل الأكثر إلهامًا من غرف الأساتذة. حتمًا لقد كان لديه في غرفته عدد قليل من الكتب. ولكن دفتر ملاحظات وقلم رصاص يكفيان لمن يعرف ولمن يرىٰ ويعرف كيف يستمع، ويستقي وحده من نفسه علمه وموسيقاه. هناك أيضًا موسيقىٰ "بيتر جاست". لا حياة ممكنة من دون موسيقىٰ. هم رفاق حقيقيون هناك فقط بين هذه "النّفوس الحزينة والمجنونة" عميقة وهادئة بما فيه الكفاية. وأنا سعيد لعدم القدرة علىٰ الاستغناء عنها. بين الأحياء نجد: "جاست"، بين الأموات: "ستندال"، وكذلك الأب "جاليانى"[1] فما كان لوجود أحدهما لولا "سيماروزا"[2] "وموزار"،

---

١ فرديناندو جالياني: المعروف باسم الأب "جالياني"، وُلد في كيتي في٢ ديسمبر١٧٢٨ وتوفّي في نابولي في٣٠ أكتوبر١٧٨٧، وهو اقتصاديّ إيطاليّ.

٢ دومينيكو سيماروزا: من مواليد١٧ ديسمبر١٧٤٩ في أفيرسا، مملكة نابولي، وتوفّي في١١ يناير١٨٠١ في البندقية) هو ملحّن إيطاليّ.

وبالنّسبة للآخر من دون "بيتشيني"[1]. إنّ البندقيّة بالنّسبة لنيتشه هي شيء من الصّمت، وبيانو الصّديق. واحسرتاه! من عيونه المسكينة. لقد صار أعمىٰ الآن. وشاح علىٰ بؤبؤ عينيه، و دموع تحت رموشه، دائمًا يلازمه الصّداع. لكن البندقيّة لا تزال البندقيّة، مدينة رائعة للتّأمل، وكلّ مساء يعود "جاست" إلىٰ لوحة المفاتيح. عزيزي "جاست" إنّه لا يفعل أفضل من نيتشه للوصول إلىٰ النّجاح. لقد اكتمل عمله في الأوبرا، ولكن لم يتبنّ العمل لعرضه أيّ مسرح من المسارح ومع ذلك حسب نيتشه فقد كان أفضل عمل في ألمانيا منذ "موزار" و"بيتهوفن". وكان الفيلسوف يصرخ قائلًا: إنّ أعمال "فاجنر" تسدّ طريقكم، وهذه الوقاحة أيضًا، وتلك الفظاظة الألمانيّة الّتي منذ عهد الإمبراطوريّة تكبر، وتتزايد أكثر وأكثر. سيكون من الضّروري أن ننصح، وأن نحمل السّلاح لمنعنهم من قتلنا في صمت، أنا وأنت....

اشتكىٰ بقوّة، هذا (الموت في الصّمت) بشكل قاطع، ومع ذلك كم هو عادل وفظيع أن نسمع ذلك. لأنّ نيتشه في ربيع ١٨٨٥ أكمل الثّلاثة أجزاء الأولىٰ لكتاب "زرادشترا" الّذين نشروا الآن كما تنشر علىٰ الفور كلّ كتبه تحت أعلىٰ درجات الصّمت واللاّمبالاة. إلىٰ درجة إنّه لم يجد محرّرًا لطباعة الجزء الرّابع. كان عليه أن يجد حلاًّ في طباعة أربعين نسخة، لقد تمّ إرسال حوالي عشرة مجلّدات للأصدقاء فيما البقيّة

---

١ ألكسندرو بيتشيني: مولود في ٣٠ ديسمبر ١٥٦٦ في بولونيا وتوفّي في مسقط رأسه عام ١٦٣٨ عازف إيطالي ومؤلّف موسيقيّ في أواخر القرن السّادس عشر وأوائل القرن السّابع عشر..

ينتظرون قرّاءً يستحقّون هذه القراءة. سأكون مشهورًا حين أبلغ الأربعون سنّة هكذا أخبر ساكني فندقه الصّغير في نيس الّذين نظروا إلىٰ بعضهم البعض مخبّئين ابتسامة، لقد قال ذلك "ستندال" أيضًا، لقد أضحىٰ هذا صحيحًا بالنّسبة إليه. ولكن كيف بالنّسبة لنيتشه؟ وبعد أربعين سنة سيصبح عمره ثمانون عامًا. ابتسم هو أيضًا، لا، لن يذهب إلىٰ هذا الحدّ، ما تزال ربّما سنتين أو ثلاث سنوات، ومازال يكتب ذلك.

في ذلك العام قام برحلة إلىٰ "فلورنسا"،كنت أعتقد أنّه لا يوجد هناك أيّ "عمل فنيّ"، صرت رجلًا في الهواء الطّلق. لقد قصد "سان مينياتو"، وأطلّ من أعلىٰ مثل "دانتي" ومثل "مايكل أنجو" مثلنا جميعًا نحن الّذين رسوا أمام شرفات هذه المقبرة ذكرىٰ سترافقنا حتّىٰ الموت. إنّها الأماكن ذات الوقع القويّ علىٰ النّفس، والجميلة علىٰ القلب حتّىٰ لا نضع الوجه الّذي أحببناه وكلّ فلورنسا في قلوبنا. هذه العين الجميلة التّي تنظر إلىٰ القبّة في ضبابها، وهذا الفم الّذي يبتسم إلىٰ أجمل مدينة في إيطاليا. هذه مدينتنا "سان مانياتو" علىٰ شعر صباحاتنا التّوسكانيّة[1].

وكيف كان لقاء نيتشه؟ مع عالم فلك مسنّ من مرصد "أرشيتري"، هو السّيد "ليبريشت تمبل" ألماني مرتبط بهذه المرتفعات، لكنّه قرأ كلّ ما لديه من كتب حيث استشهد من الذّاكرة لفقرات عديدة، وطويلة تسعد

---

١ توسكان: إحدىٰ المدن الإيطاليّة العشرون وهي تقع في الوسط الغربيّ.

الكاتب إذا صحّ التّعبير. فلو اعترفنا بأنّك تعلّق بعضا من المتعة، ربّما قليلًا من الأحاسيس الرّقيقة، وتلتمس بلطف هذه الصّداقة المنسيّة.

عندما عاد إلىٰ البندقيّة في الرّبيع التّالي في سنة١٨٨٦، حيث أحضر نيتشه مخطوطًا جديدًا مكتملًا ملفوفًا في الورق، محفوفًا بأمنياته الصّغيرة بعنوان "ما وراء الخير والشرّ"، وسيظلّ من أكثر الأشياء نقاءً وأكثر الشّعر الألمانيّ شفافيّة. إنّه جيّد ومذهل وفلسفيّ وجميل جدًّا إلىٰ حدّ أنّها يمكن أن تسبّب لنيتشه موتًا دماغيًّا، فيصبح تفكيره أكثر طيرانًا. لقد أضحت داخله موهبة المعرفة المسبّقة مثل استكشاف الغيب يكاد يكون خارقًا للطّبيعة، وقد كانا "برجسون"[1] و"فرويد"[2] حاضران بقوّة في العديد من صفحات كتابه الجديد. وكذلك "جيد" وحتّىٰ "موراس"[3] عبر كذبات"ماكيافيلي"[4]. وحتّىٰ"موسيليني"[5]. إنّ عدد المشاكل النفسيّة في علم النّفس، والسّياسة الّتي تثار في وقتنا هذا وتمّ حلّها في إطار تجاربنا

١هنري برجسون: فيلسوف فرنسيّ ولد في١٨أكتوبر١٨٥٩وتوفّي في٤جانفي١٩٤١.

٢سيقموند فرويد: ولد في٦ماي١٨٥٦ وتوفّي في٢٣سبتمبر١٩٣٩ في لندن. طبيب أعصاب نمساوي مؤسس لنظريات في علم النّفس.

٣تشارلز موراس: ولد في٢٠ أبريل١٨٦٨ في مارتيغيس وتوفّي في١٦ نوفمبر١٩٥٢ صحفيّ فرنسيّ وكاتب مقالات وسياسيّ وشاعر.

٤نيكولا ماكيافيلي: عالم إنساني من عصر النهضة الفلورنسي، ولد في٣ مايو١٤٦٩ في فلورنسا، وتوفّي في نفس المدينة في٢١ يونيو١٥٢٧.

٥بينيتو موسيليني: ولد في٢٩ يوليو١٨٨٣ في بريدابيو وتوفّي في٢٨ أبريل١٩٤٥ في جولينو دي ميزيجرا، وهو صحفيّ وعالم إيديولوجيّ، ورجل دولة إيطاليّ.

اليوميّة. ومع ذلك فإنّ هذا الكتاب موجّه ضدّ الحداثة. (إنّها مدرسة النّبلاء) حيث تتمّ عمليّة تحديث المسافات بين البشر، بين السّادة والعبيد، بين المتطوّرين، وأكلة الأعشاب. هي فئة من القيم. باختصار هي عبادة الأبطال، لم تكن له صفة رسميّة، ولم ينصب له تماثيل. لقد كان بطلًا للفكر، وحتّىٰ إن كانا مجهولين طيلة حياتهما كما كان نيتشه نفسه، دون شكّ مثل "نابليون" و"جوته". وكذلك مثل "شوبان"، نيتشه و"بروست". وقد كان لنيتشه ميلًا واضحًا تجاه المتواضعين، والّذين أسيء فهمهم، أو نساهم الآخرون، والمرضىٰ والّذين يعتبرهم أخوة له. فقد كان يبدو لهم في نهاية الأمر أكثر أناقة وأكثر لياقة. فهذا الكتاب هو ثقافة للقلب كما يحتوي علىٰ ثقافة للفكر. هي سلالة الضّمير الإنسانيّ، والتّاريخ الطبيعيّ للأخلاق، وجدول للتّسلسلات الهرميّة. وهل لديك رغبة في أن تكون سيّدا أم عبدًا؟ فلنراهن لتكون سيّدًا، لذلك فأنت لديك الشّجاعة لمحو عددًا من الألحان القديمة لفائدة أرواحك الصّغيرة كما ينبغي لها أن تكون: المساواة في الحقوق، والرّحمة لكلّ من يتألّم، واللّطف والإيثار.

وإلا فلتبقوا من العبيد، وهل أنت حقًّا من الّذين يرغبون أن يروا بقوّة تطوّر الطّبيعة البشريّة. فلتمتلك عبقريّة الاختراع والتّخفي، معنىٰ القيود، والرّغبة في تمجيد نفسك إلىٰ أعلىٰ درجات السّلطة، ومنذ آلاف السّنين اعتدنا علىٰ عدم اعتبار ذلك، ولم نعد نعتبر عواقب الفعل حاسمة من

وجهة نظر قيمة ذلك الفعل. ولكن فقط لأصل ذلك الفعل. أو نيّته الأخلاقية لفعل ذلك. فنحن الفاسقون نعترف أنّ هذا الأصل لم يعد يهمّنا، ولكن عواقبه تجعلنا ندخل في فترة غير أخلاقيّة.

إلىٰ أين سوف تتوجّه نظراتنا نحو الفلاسفة الجدد، نحو الأرواح القويّة جدًّا، والكريمة جدًّا بما فيه الكفايّة، التّي يمكن أن تثير تغييرات متقلّبة. وذلك لتغير وقلب القيم الأبديّة، نحو المتسابقين الجدد نحو رجال المستقبل الّذين وجدوا الرّابط في الحاضر لإجبار إرادة آلاف السّنين للدّخول في مسارات جديدة. لتدرّس للإنسان أنّ مستقبله هو إرادته، لأنّها مسألة إرادة بشريّة لإعداد المحاولات العظيمة، والاختبارات العامّة في الانضباط والتّعليم. لوضع حدّ لهذه السّيطرة المروّعة بين العبث والصّدفة اللّذان أطلقنا عليهم حدّ الآن كلمة تاريخ. لذلك يبقىٰ عدد كبير دون معنىٰ وهو فقط شكله الأخير. ولنحقّق ذلك فأنت تحتاج يومًا مّا إلىٰ نوع جديد من الفلاسفة والقادة حيث تبدو صورتهم مملّة وتافهة أمام العقول المخفيّة والرّهيبة الّتي توجد علىٰ هذه البسيطة. إنّها صورة لهؤلاء القادة الّتي تطفو أمام أعيننا، ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أنّ كلّ هذه الأشياء قد تمّ التفكير فيها، وكتابتها قرب نفس السّماء أين ولدت، في نفس ذلك التّاريخ "موسيليني". لقد كانوا كلّهم غارقون في إيطاليا، من إيطاليا العتيقة إلىٰ "ستندال"، ومن إيطاليا شابّة وواقعيّة. وبالبندقيّة لـ "بيتر جاست"، بموسيقىٰ صاخبة وراقصة "لجورج بيزات". ونرىٰ من هنا وهناك مرّة أخرىٰ طيف يتجوّل لـ "لو

سالومي" حين كان نيتشه يشدّ بقوّة فستانًا كأنّه يرغب في تمزيقه، أرنا جمال جسد القطّ الوحشيّ الصّغير. أيّتها الأنثىٰ الماكرة. جسدك المرن جسد قطّ يقف بالمرصاد، ولكن انتظر قليلًا سوف أقوم بتقليم أظافرك.

إنّ في هذه الفحوصات الفسيولوجيّة يوجد داء الكلب، وهي غيرة بأثر رجعيّ، وهذا هو الأسوأ والأكثر انتقامًا، فالرّجال الذّين يبدو عليهم أثر حزن عميق هل يكتبون؟ هل يقومون بخيانة أنفسهم حين يكونون سعداء، فهم يختارون سعادتهم كأنّهم يرغبون في إطفائها، أو حتّىٰ خنقها من حالة الغيرة.

وفجأة قرّر أن يهرب من هذا المكان، من شبه الجزيرة الّتي سبّبت له آلامًا في عينيه. لقد كان يركض بسرعة في اتجاه "ليبتزيغ"[1] لرؤية صديقه الهيلينيّ[2] "إيروين رود" مرّة أخرىٰ، ليحدّث أحدًا من صنفه، ويشاركه. و"رود" يكتب: "لقد كان في شخصيته بصمة بدت غريبة بطريقة لا توصف، فهو يبدو أنّه جاء من بلد لا يعيش فيه أحد. هذا كلام جميل. نشعر بالحقيقة تجتاحنا علىٰ الفور. في الواقع لقد غادر نيتشه بلدًا لا يعيش فيه أحد، حيث نحن دائمًا بمفردنا، نلتقي فقط بأنفسنا. ذهب ليحمل لقرّائه كتابه اليائس واللّطيف، من روح الأنبياء:

"هذه موسيقىٰ المستقبل" هكذا قال فيما بدت من فمه ابتسامة.

---

١ لايبتزيغ: مدينة في ألمانيا.

٢ الهيلينيّ: الهيلينيون جمع من اليهود المقربين من الثّقافة اليونانيّة في القرن الأول في القدس.

كلّ المشاكل العالقة في الشّعور

"هذه أغاني "زرادشترا" حيث كان يغنّيها لنفسه ليتمكّن من تحمّل وحدته الأخيرة"

علامة الحريق

هنا بين البحار نشأت جزيرة،
الذّبيح للتّضحية. ينحدر
هنا تحت السّماء السّوداء
من علٍ يشعل "زرادشترا" نيرانه،
في محنة تبدو علامات النّار،
علامات استفهام لكلّ من يعرف الإجابة،
.....
روحي هي هذه الشّعلة
آفاق جديدة لا تشبع.
ترفع عاليا حماسته العالية،
لمَ فرّ "زارادشترا" من الإنسان والحيوان؟
لم يهاجر بسرعة فائقة، فكلّ أرض مغلقة؟
مازال يعرف ستة عزلات.
لكنّ البحر نفسه لم يعد معزولًا.

لقد تسلّق الجزيرة، و فوق الجبل صار نارًا.
الآن في عزلته السّابعة رمىٰ خطّه،
محارة في محنة، فضلات عجائز النّجوم.
وأنتم بحار الأيّام المقبلة، سماوات لم تستكشف بعد،
نحو كلّ من كان وحيدًا ألقي الآن الخطاف،
فأجب عن نفاذ صبر اللّهيب
واقبض عليّ، أنا صيّاد الجبال العالية.
عزلتي السّابعة، والأخيرة.

في سبتمبر من العام ١٨٨٦، قام القرويون في "سان لورينزو"[١] و" كاموغلي"[٢]، والرّعاة الّذين قادوا حيواناتهم في ريف "بورتو فينو"، ترىٰ النّور، عند الغسق، علىٰ المرتفعات الصّخريّة في هذه المنطقة، حرائق خشب هائلة. لم نكن نعرف أنّ كان هناك مريض، أو سائح مغامر تسلّق الفروع الميّتة هناك ليشعل النّار. لقد كان "زرادشترا" يبعث من بعيد بنداءاته الأخيرة، بتلك الرّموز العليا. أو ربّما كان ذلك زائرًا غامضًا، تقدّم في "واد المسيح" حتّىٰ وصل للدّير الّذي كست الأزهار برجه العالي وكأنّه جدار قديم يحتضنه موت حنون ولطيف. نحن ندفع غاليًا لنكون خالدين: لذلك عليك أن تموت عدّة مرّات، رغم أنّك حيّ (ايسي أومو)

---

١ سان لورينزو: مدينة إيطاليّة.

٢ كاموغلي: هي بلدية في مدينة "جنوة" الإيطاليّة.

باحثًا عن أرض معاديّة للمسيحيّة، كان نيتشه قد واجه آثار الله في كلّ مكان، وكان يضحك بصمت. لقد مات مع "فاجنر"، مات مع "لو سالومي"، لقد مات من سوء الفهم الّذي يواجهه من كافّة النّاس. مات من صداقاته مثلما مات من حبّه. كان يضحك، وهو يعلم أنّه خالد. خالد لأنّه كان وحيدًا فيما يسيء الآخرون فهمه. خالدًا مثل "دانتي" و" شكسبير" و "غوته". وهذا الجنون الّذي يستحوذ عليه يضخّمه الكبرياء مثل البالون. واحد مثل "جوته" و"شكسبير" لا يستطيعان أن يتنفّسا ولو لحظة من هذا الجوّ المفعم بالعاطفة، والشّاهق بارتفاع مذهل. بينما "دانتي" إذا قمنا بمقارنته "بزرادشترا"، فهو مجرّد مؤمن، وليس شخصًا يخلق بادئ ذي بدء الحقيقة، بحتميّة فكر يسيطر على العالم. حتّى شعراء "الفيداس" هم كهنة غير جديرين حتّى لفكّ حبال صندل "زرادشترا": كلّ هذا ليس مهمًّا، ولا يعطي فكرة عن مسافات العزلة اللاّزورديّة حيث يعيش هذا العمل.

أخيرًا، إنّ تجرؤ رجل على الاعتراف فهو قادر على كتابة كتب دون شغف أو مثاليّة، فهو لا ينظر إلا إلى الحقيقة. لأنّه ليس المنشئ لمثاليّة جديدة إنّما لنقيض تلك المثاليّة. لأنّ نيتشه اكتشف أنّ الألم وحده يربطنا بالحياة، (ولكن ذلك الألم القاهر)، وإنّ الذّكاء هو ذلك السمّ الوحيد المضاد ليأسنا. فالألم الكبير يعلّم الشكّ الكبير، والشكّ هو التّرياق الضروريّ لأوهام الطبيعة المثيرة. هو كذلك كلّ الخطوات في تفكيره،

السّاخرين، باختصار لقد كان يقدّمهم لأبناء عمومته. لكن تنقصهم كلّهم تلك الفضيلة الأساسيّة:

وهي القوة. لقد قرأ "لبودلير"، "وحسرتاه إنّه فاجنريّ النّزعة". واكتشف "دوستوفيسكي" هل تعرف "دوستوفيسكي" سأل "جاست"، باستثناء "ستندال" لا أحد يمكن أن يرضيني أو يفرحني، هذا طبيب نفسي يمكن لي التّفاهم معه. ها هو يواجه مرّة أخرىٰ "فاجنر". فهذه الفترة تعتبر المرحلة الوحيدة الّتي سمع فيها نيتشه ولأوّل مرّة موسيقىٰ "بارسيفال". كان ينجذب برباطة جأش إلىٰ نوبات "فاجنر" ويتّجه إلىٰ "مونت كارلو" حيث وضعت الأوركسترا في برنامجها المقدّمة الشّهيرة بالفعل في قاعات الحفلات الموسيقيّة. لأيّ حاجة سوف يستجيب، هو الّذي لأكثر من عشر سنوات قاوم هذه النّغمات المحمومة، وأصبح راغبًا فقط في سماع موسيقىٰ متوازنة؟

نحن لا نعرف. ربّما كان الأمر مجرّد مسألة شحذ لقوّتك في الاحتجاج، وإعادة ضبط تلك القوّة القتاليّة للاتصال بهذا الانهيار المأساويّ. أو ربّما الآن قد نزل "فاجنر" إلىٰ الظلّ، هل تذوّق أكثر للذّهاب والبحث ليعيد ويطيل نقاشاته البكماء حيث نعطي للأموات الّذين كنّا نحبّهم خطوطنا وعواطفنا، ومهما كان لقد تمّ أخذ نيتشه وإخضاعه تقريبًا.

"حين أراك مرّة أخرىٰ سأخبرك بالضّبط ما فهمته، هكذا كتب إلىٰ "بيتر جاست" في ٢١ يناير

من سنة ١٨٨٧." ثمّ استبعد جانبا كلّ الأسئلة الّتي ليست في محلّها. (مّا الّذي يمكن أن يعيننا في استخدام مثل هذه الموسيقىٰ، وما الّذي يجب علينا استخدامه منها)، ولو اتّخذنا وجهة نظر جماليّة بحتة، فإنّنا قد نتساءل هل سبق "لفاجنر" أن ابتكر أيّ موسيقىٰ أفضل في أيّ وقت مضىٰ. فإنّ أعلىٰ مراتب الوعيّ النّفسيّ فيما يتعلّق بما يجب أن يقال، يتمّ التّعبير والإبلاغ عنه هنا. هو الطّريقة الأكثر اختصارًا ومباشرة في هذه المسألة. فكلّ فارق بسيط هو مدفوع نحو كتابة أبديّة. وهي تدقيق للموسيقىٰ كفنّ يعتمد علىٰ الوصف الّذي يجعلك تفكّر في أنّه عمل يملك شعور النّبل في الإغاثة، وفي نهاية الأمر هو إحساس سام وغير عاديّ، حالة للرّوح، موجود داخل الموسيقىٰ، والّتي كان "لفاجنر" منها شرف عظيم، هي باقة من المشاعر الّتي بالنّسبة للكثير من الرّجال حتّىٰ ولو كانوا من الرّجال المتفوّقين يمكن أن تبدو لهم متضاربة. هي صعوبات عادلة في الصّعود إلىٰ معنىٰ مخيف للكلمة، هي معرفة وتداخل يقتطع الرّوح مثل سكين، ومرّة أخرىٰ هو تعاطف مع ما يراه الفنّان ويحكم عليه. هناك أشياء مماثلة عند "دانتي" ولن نجدها في أيّ مكان آخر.

هل رسم رسّام من قبل نظرة حبّ أشدّ حزن مثلما رسمها "فاجنر" مع آخر العلامات في المقدّمة؟ يا له من حنين في كلمات نيتشه هذه، ويا له

من ندم نحو الرّجل الّذي يجب عليه أن يكون، من أجل شرف العقل ينفصل. لكن الّذي يبقىٰ حضوره سريّ بالرّغم من كلّ ما هو ضروريّ ولا يمكن تعويضه ... فإذا كان "فاجنر" قد شعر كذلك بالوحدة منذ ابتعاد نيتشه، فهذا مؤكّد تمامًا لأنّ نيتشه لم يملأ في قلبه المكان الّذي تركه مفتوحًا.

وصلنا إلىٰ خريف عام ١٨٨٧. حيث بقي علىٰ "لاك ماجور"؛ وصعد إلىٰ "إنجادين"[١] وهو بصدد كتابة مخطوطه "علم الأنساب في الأخلاق" (وهو ردّ علىٰ مقال ومقدّمة لعمل جديد)، ثمّ عاد إلىٰ البندقيّة. لكنّها لم تعد تلك البندقيّة المرحة كما كانت في السّنوات الماضيّة، البندقيّة الرّبيعية، محارة بحريّة كبيرة مدوّية بالأجراس والأنغام الحميمة "لجاست" و"شوبان"، المدينة المباركة الّتي علّمته الكثير في موسيقاه، والكثير من الأسرار الإيقاعيّة من إيقاعات في العبارات. إنّ البندقيّة في هذا الخريف ما فتئت أن تكون بمثابة بندقيّة التنزّه والتّفاصيل، فهو يرىٰ نفسه علىٰ ضوء إرادته في السّلطة. كان جاست ينظر بكلّ حزن إلىٰ معلّمه الّذي تقلّصت عنده نسبة الرّؤية كثيرًا في ذلك الوقت الرّاهن، الجالس لساعات علىٰ سطوح المقاهي الأكثر تواضعًا مستغرقًا في أفكاره، وحيدًا بطريقة مخيفة، ومأساويّة. فهل يمكن أن يكون لديه الوقت لتحقيق عمله حتّىٰ النّهاية؟ وهل يمكن أن يكتب باريسيفاله الشخصيّ؟ لقد توفيّ "فاجنر"

---

١ نجادين: واد مرتفع في جبال الألب السويسرية يقع في "كانتون غراوبوندن" في الجنوب الشرقيّ من البلاد بالقرب من الحدود مع "ليختنشتاين" والنمسا وإيطاليا.

هنا، على مرمى حجر قرب القناة الضّخمة، وهل سيسقط نيتشه متخبّطًا "ميّتا في الصّمت"، قبل أن يتمكّن من فتح عروقه لإعطاء دمه النقيّ؟ نحن نفكّر في كلّ هؤلاء "اللاّمعين" الّذين أقبلوا منذ قرون وجلسوا قرب الأنهار الجليديّة في ساحة القدّيس "سان مارك": هؤلاء الشّعراء، هؤلاء الموسيقيين، هؤلاء الرّسامين، هؤلاءالعاشقين، الّذين يملكون الملايين في هذه الحياة. بالكاد لا نفكّر في هذا الفيلسوف الصّغير المسكين المعوز والحكيم، حكمة العبقريّ، هكذا قال "بودلير" هو تقريبًا ذو أناقة عظيمة، لكن غير مرغوب فيه، هو ليس بالرّجل الوسيم جدًا، كما أنّه يعيش بعيدا عن الأنظار.

ومع ذلك لم يشعر أبدًا بالإنهاك أو التّعب الشّديد إنّه انحطاط حقيقيّ، فلا يوجد صدىً لصيحاته من قبل العالم الواسع. ومازال عزاءه الوحيد هي الموسيقىٰ، لأنّه ربّما في نهاية الأمر في أعماقه وبعد كلّ شيء لم يكن سوىٰ رجل موسيقيّ عجوز فاشل. في أحد الأيّام أسرّ "لجاست" إنّ هذا كان حقًا مهامه، وبالرّغم أنّه قام بتأليف كتب، كان ذلك لعدم وجود شيء أفضل. ومن هم قرّائه؟ المزيد من الموسيقيين: "موتي" قائد الأركسترا، ولو"، و"براهمز"، "جاست"؛ قلّة نادرة من المدرّسين والأصدقاء: "روند" و"أوفرباك" وربّما "بوركهاردت". فلو قام بعمليّة حسابيّة فسوف يجد أنّه في الثّالثة والأربعين من عمره كتب خمسة عشر مجلدًا، معظمها تمّ تحريره علىٰ نفقته الخاصّة؛ حيث لم يسبق له بتاتًا أن

من ندم نحو الرّجل الّذي يجب عليه أن يكون، من أجل شرف العقل ينفصل. لكن الّذي يبقىٰ حضوره سريّ بالرّغم من كلّ ما هو ضروريّ ولا يمكن تعويضه ... فإذا كان "فاجنر" قد شعر كذلك بالوحدة منذ ابتعاد نيتشه، فهذا مؤكّد تمامًا لأنّ نيتشه لم يملأ في قلبه المكان الّذي تركه مفتوحًا.

وصلنا إلىٰ خريف عام ١٨٨٧. حيث بقي علىٰ "لاك ماجور"؛ وصعد إلىٰ "إنجادين"[١] وهو بصدد كتابة مخطوطه "علم الأنساب في الأخلاق" (وهو ردّ علىٰ مقال ومقدّمة لعمل جديد)، ثمّ عاد إلىٰ البندقيّة. لكنّها لم تعد تلك البندقيّة المرحة كما كانت في السّنوات الماضيّة، البندقيّة الرّبيعية، محارة بحريّة كبيرة مدوّية بالأجراس والأنغام الحميمة "لجاست" و"شوبان"، المدينة المباركة الّتي علّمته الكثير في موسيقاه، والكثير من الأسرار الإيقاعيّة من إيقاعات في العبارات. إنّ البندقيّة في هذا الخريف ما فتئت أن تكون بمثابة بندقيّة التنزّه والتّفاصيل، فهو يرىٰ نفسه علىٰ ضوء إرادته في السّلطة. كان جاست ينظر بكلّ حزن إلىٰ معلّمه الّذي تقلّصت عنده نسبة الرّؤية كثيرًا في ذلك الوقت الرّاهن، الجالس لساعات علىٰ سطوح المقاهي الأكثر تواضعًا مستغرقًا في أفكاره، وحيدًا بطريقة مخيفة، ومأساويّة. فهل يمكن أن يكون لديه الوقت لتحقيق عمله حتّىٰ النّهاية؟ وهل يمكن أن يكتب باريسيفاله الشخصيّ؟ لقد توفيّ "فاجنر"

---

١ نجادين: واد مرتفع في جبال الألب السويسرية يقع في "كانتون غراوبوندن" في الجنوب الشرقيّ من البلاد بالقرب من الحدود مع "ليختنشتاين" والنمسا وإيطاليا.

هنا، على مرمى حجر قرب القناة الضّخمة، وهل سيسقط نيتشه متخبّطًا "ميّتا في الصّمت"، قبل أن يتمكّن من فتح عروقه لإعطاء دمه النقيّ؟ نحن نفكّر في كلّ هؤلاء "اللامّعين" الّذين أقبلوا منذ قرون وجلسوا قرب الأنهار الجليديّة في ساحة القدّيس "سان مارك": هؤلاء الشّعراء، هؤلاء الموسيقيين، هؤلاء الرّسامين، هؤلاءالعاشقين، الّذين يملكون الملايين في هذه الحياة. بالكاد لا نفكّر في هذا الفيلسوف الصّغير المسكين المعوز والحكيم، حكمة العبقريّ، هكذا قال "بودلير" هو تقريبًا ذو أناقة عظيمة، لكن غير مرغوب فيه، هو ليس بالرّجل الوسيم جدًا، كما أنّه يعيش بعيدا عن الأنظار.

ومع ذلك لم يشعر أبدًا بالإنهاك أو التّعب الشّديد إنّه انحطاط حقيقيّ، فلا يوجد صدىً لصيحاته من قبل العالم الواسع. ومازال عزاءه الوحيد هي الموسيقىٰ، لأنّه ربّما في نهاية الأمر في أعماقه وبعد كلّ شيء لم يكن سوىٰ رجل موسيقيّ عجوز فاشل. في أحد الأيّام أسرّ "لجاست" إنّ هذا كان حقًا مهامه، وبالرّغم أنّه قام بتأليف كتب، كان ذلك لعدم وجود شيء أفضل. ومن هم قرّائه؟ المزيد من الموسيقيين: "موتي" قائد الأركسترا، ولو"، و"براهمز"، "جاست"؛ قلّة نادرة من المدرّسين والأصدقاء: "روند" و"أوفرباك" وربّما "بوركهاردت". فلو قام بعمليّة حسابيّة فسوف يجد أنّه في الثّالثة والأربعين من عمره كتب خمسة عشر مجلدًا، معظمها تمّ تحريره علىٰ نفقته الخاصّة؛ حيث لم يسبق له بتاتًا أن

تحصّل علىٰ مرتّب، فيما باع من آخر أعماله مائة نسخة، في حالة أنّه لم يتجرّأ أيّ ناشر علىٰ خوض تجربة جديدة في نشر هذه المجلّدات حتىٰ علىٰ حساب المؤلّف. كيف يمكن لأيّ شخص أن يشكّ في وجود فانوس في شخصيّة فنّان من ألمع العقول الّتي أنتجها العالم؟

(من دفتر ملاحظاته) نوفمبر ٨٧

الشّكل، النّمط، مونولوج مثاليّ، كلّ من يملك مظهرًا علميًّا يمتصّ الأعماق. وكلّ لهجات الشّغف العميق في الحزن وكذلك الضّعف، بتلطيف ضربات الشّمس، تعدو السّعادة، أسمىٰ درجات الصّفاء، الذّهاب إلىٰ الجانب الآخر من البراهين، كن أنت تمامًا.... من أنواع الذّاكرة، أن تتحدّث عن الأشياء المجرّدة بطريقة أكثر واقعيّة وأكثر دمويّة. التّاريخ برمّته، كأنّما تعايشوا معها وعانوا منها شخصيًّا. (هكذا وبهذه الطّريقة يمكن لها أن تكون صحيحة). بقدر المستطاع، أشياء مرئيّة، محدّدة، أمثلة، دون وصف، كلّ المشاكل الّتي تحوّلت إلىٰ شعور حدّ الشّغف.

آه السّاحر الأحمق سيّدنا لقد تجاوز عمره الأربعين سنة، كما كان يدّعي، نحن لا نرغب أيضًا أنّ التّاريخ برمّته يعاش معذّب شخصيًا؟ نيتشه فعلا هو مؤلّف كتاب "الحياة الرّومانسية" فعلا هو فنّان ينقل كلّ المشاكل الّتي تحدث في الشّعور. ومن سوف يفقد احترام النّاس الجّادين. فهذا الفيلسوف هو بالتّأكيد مجرّد شاعر.

بعد إرسال كتابه إلىٰ صديقه "اروين رودا "الأخلاق في علم الأنساب"، فلم يكتب هذان الصّديقان منذ الطّفولة إلىٰ بعضهما البعض.

عاد إلىٰ نيس. عاد إلىٰ العمل دون توقّف، بتعب وبسعادة. وفي بعض اللّيالي لا يفعل ذلك، فيتزايد داخله إحساس الكرب والشّعور بالوحدة... "أنا تركت ورائي ثلاثة وأربعين سنة، ووجدت نفسي وحيدًا مثل طفل. كلّ شيء يبقىٰ للقول والفعل. ولا يزال عمله مجرّد تصميم للخطوط العريضة لفكرة، ولوعد. وسوف يتعثّر في مهامه لو لم تكن هناك موسيقىٰ.

"لقد كانت تأخذني من نفسي، وتعيدني إلىٰ نفسي، كما لو كنت أنظر إلىٰ نفسي من مكان مرتفع للغاية، كنت أشعر أنّني أطلّ من مكان عالٍ جدًا"، هي تقوّيني باستمرار، بعد أمسيّة موسيقيّة (استمعت فيها لكارمن أربع مرّات)، وجاءني ذات صباح مليئا بالمناظر والاكتشافات المفعمة بالنّشاط، وهذه مسألة مهمّة للغاية. ويبدو الأمر كما لو أنّني استحممت في مكان طبيعيّ." فالحياة دون موسيقىٰ هي بكلّ بساطة خطأ، تعب، منفىٰ"

(في رسالة إلىٰ جاست).

هكذا بدأ سنة ٨٨. تمّ إثراء هذه الصّناديق بمئات الملاحظات علىٰ ضوء الكتاب الكبير الأخير. إنّ المحرّك الفكري يعمل بأقصىٰ سرعة، لكن واصل المحرّك لا يعمل بعد. نحن نحتاج إلىٰ طرق أخرىٰ، إلىٰ

سماء أخرىٰ. وستكون إيطاليا من جديد: "صحّتي بفضل هذا الشّتاء الرّائع للغاية، لغذاء صحيّ، لجولات طويلة، بقيت لفترة طويلة. لا شيء مريضًا إلا تلك الرّوح المسكينة" كتب في ٣١ مارس، بعد يومين غادر في اتّجاه "تورين".

رحلة هزلية: استقل قطارًا علىٰ وجه الخطأ إلىٰ "سافونا" ركب عربة متّجهة نحو "جنوة". ضلّل أمتعته بالقوّة، ليرىٰ مدينة "كولومبوس" مرة أخرىٰ، هذه المدينة "حيث لا يمكن أن يكون المرء جبانًا"، وكلّ قلبه مغمور بالاعتراف بالجميل، "جنوة" هي جزء من ماضيه يشعر أمام هذا الماضي بالاحترام، مادامت حياته كانت وحيدة وقاسية. وأضاف:

"نحن لا نغادر هذه المدينة دون أن نغادر أنفسنا". لقد كان شديد التّعب، فعاد إلىٰ "توران". هذه العاصمة تنعشه. شوارعها مرسومة في خطوط، قصر" كارينيان"، الأروقة، الحدائق، كلّ هذا ينضح بأناقة بهيجة، وحدة الذّوق، التّوازن الأكثر حساسيّة للقرن السّابع عشر اللاّتينيّ. في الأزقّة الملكيّة، والفنادق الأرستقراطيّة، أشخاص متحضّرين جيّدًا، وهذا يُغري إحساسهم بفكرة التّسلسل الهرميّ. فيما المقاهي تشعّ بالضّياء والذّهب والرّخام. وعلىٰ دليل "توران" تمّ رصد اثني عشر مسرحًا، أكاديميّة "فيلارمونيكا"[1]. مجموعة من الأساتذة علىٰ مختلف الآلات، وعناوين أربعة وعشرون ملحّنًا. وإجمالًا: هي مدينة موسيقىٰ، مكتبات

---

١ فيلارمونيكا: مدينة في جنوب ايطاليا أعطت اسمها المشهور لاركسترا وجامعة أكاديمية.

ممتازة، تراتوري[1] رائع حيث وجبة بفرنك و٢٥سنتيم، أيس كريم وقهوة ٢٠ سنتيمًا، ويقبل الهواء مباشرة من جبال الألب الثّلجيّة، فيما يتجوّل رجلنا الأعمىٰ بأريحيّة، معدّلًا قامته في ثوبه الرّثّ. سقط التّعب، فإلىٰ أيّ حدّ تشعر أنّك خفيف هنا، لتكتب ولتفكّر! سوف نعامله بطريقة مختلفة، نأخذه علىٰ أساس أنّه ضابط ألمانيّ حيث قال: "من هنا أنطلق لأصبح ملكًا". ملك ماذا؟ وتذهب إلىٰ أين؟ كان يفكر دائمًا في المغادرة دون أن نشكّ في أنّنا ذات يوم سنصل إليه. فيما المروحة ستتوقّف قريبا عن الدّوران: إنّه المرفأ.

****

١ تراتوري: هو مطعم إيطالي، بسيط عادة ما يكون الجوّ فيه عائليًا والخدمات بسيطة.

إنارة "تورينيز"

كان لفاجنر ثلاثة تلاميذ. ثلاثة تلاميذ فقط، ولكن ثلاثة فنّانين، ثلاثة شعراء؛ ولم يجلب لهم الثّلاثة الحظّ السّيئ؟ ريتشارد المسكين! سنجعلها في أغنية، "أغنية ريتشارد"، السّاحر المحبط"، معتقدا أنّ واحدًا على الأقلّ"أو "أغنية ريتشارد والمجانين الثّلاثة ". ضحك نيتشه من هؤلاء الثّلاثة يمكن له الانتقام من الاثنين الآخرين.

في البداية كان هناك "بودلير". إلىٰ هذا كتب (فاجنر) في عام ١٨٦١ رسالة مدهشة فيها شكر في صيغة مقال مشهور. بعد أن اكتشفها في إحدىٰ المجلاّت، نسخها نيتشه بالكامل "لبيتر جاست". ها هي: لقد كنت عديد المرّات في منزلك دون أن أجدك. هل تتصوّر كم كنت حريصًا علىٰ إخباركم برضائي الكبير الذي أعددته لي بمقالك الّذي شرّفني، والّذي يشجّعني أكثر من أيّ شيء ذكره أيّ شخص عن موهبتي الضّعيفة. ألن يكون من الممكن أن أقول لك قريبًا، بصوت عالٍ كيف أحسست بالانتعاش، وأنا أقرأ هذه الصّفحات الجميلة الّتي تتحدّث فيها معي مثلما تفعل أفضل قصيدة. فكلّ الانطباعات الّتي يمكنني أن أتباهىٰ بها لأنّني صنعتها في مثل هذه المنظمّة المتفوّقة أكثر منك؟ أشكرك ألف مرّة علىٰ هذه الخدمة الّتي قمت بها من أجلي، وصدّقوني أنا فخور جدّا بأنّني صرت قادرًا علىٰ تسميتك صديقًا. أراك قريبًا، أليس كذلك؟

كان نيتشه يصرخ بشدّة على مسألة الأسلوب، وعلى الغرور، ثمّ يضيف: "خطابًا بهذا الشّكل، وبهذا الاعتراف، وبهذا الحماس، "فاجنر" لو لم يخدعني شيء، لو لم يكتب قطّ أحد آخر: وعندما تلقّى كتاب "ميلاد المأساة" نعم، لقد استقبل "فريديريك نيتشه" شيء مماثل، فقط بعد عشر سنوات من "بودلير". وقد مات "بودلير" مجنونًا ومصابًا بشلل كامل. وعندما نطقنا أمام هذا الرّجل اللّطيف صاحب الاسم اللاّمع "ابتسم بفرح".

ثمّ كان هناك الملك لويس الثّاني. رجل جلب اهتمام السّحرة، وأصحاب التّعاويذ، وهو من أكبر الموسيقيين. بدأ "فاجنر"، وأكمل خرابه. حيث قاده إلى الجنون، مثل "جوبيتار"[1] الّذي أراد أن يخسره، أمّا الآن: لقد مات، مات غريقًا منذ ما يقرب من عامين. موت الجنون مثل "بودلير"، مات من فرط الوحدة، اليأس، والعظمة المستحيلة، ربّما انتهى بسبب الشّعر الّذي لم يستطع التّعبير عنه.

بقي التّلميذ الأخير، اللّص الثّالث، المارق الشّهير، آه! أنّه ذلك الّذي ذهب ليسرق فقط لمساعدة زملائه، هو "الكاتب الألمانيّ الوحيد". كن حذرًا من الكتيبات القادمة: حالة "فاجنر"؛ (شفق الأصنام)، "المسيح الدّجّال". وفجأة أراد أن ينتقم من الظّلين اللّذان يرافقانه في كلّ مكان في

---

١ جوبيتار: المشتري، في الأساطير الرّومانية ملك الآلهة. إله السّماء. في الأساطير اليونانيّة.

طريقه، ويحرمانه من الدّفء، ويمنعانه من الشّمس. اللّذان يسمّونهم في مكان مّا المثل الأعلىٰ للإثارة الجنسيّة، النزاريان[1] والبيروثي[2].

ومع ذلك كان فرحًا، كان يحوّل القيم، مهنة جافّة. ليلًا، كان يسعىٰ للحصول علىٰ استراحة، المقاهي، "كارمن" (مرارًا وتكرارًا)، نزهات في الشّوارع الرّائقة، والرّائعة. وبعد ذلك، إليك المزيد من الأخبار: "جورج براندیس" *، في "كوبنهاغن"، قام بمحاضرة عن فلسفة "نيتشه" حضر فيها ثلاثمائة مستمع، ومن نيويورك وعد أحد المعجبين بإعانات، وبمقال نقديّ كبير، علاوة علىٰ ذلك، فإنّ عيون، وأرجل الفيلسوف في هذه المدينة الهادئة ليست سيّئة للغاية. فقد يحدث له أن يغنّي، يؤلّف أبياتًا هزليّة. نعم هو فرح، (كأنّه تقريبًا في صيف ذلك العام، عاد إلىٰ "سيل ماريا" حيث أكمل قضيّة "فاجنر". وكتب في غضون جنازة).

أسابيع قليلة (شفق الأصنام) و(المسيح الدّجّال). كتيبات ذات أهميّة كبيرة عند نيتشه، وحيث لا ينبغي أن نرىٰ فقط اندلاع ثنايا للكراهية، ولكن نوعًا من الاستنتاج لكلّ ما لديه من أفكار، هو انتقام من "فاجنر"، نعم. ولكن أيضًا تبريرًا لهذا التأمّل الكبير "لنيتشه" الّذي استمرّ منذ عشرين عامًا. وبالنّسبة إليه فهو يعاني من مصير الموسيقىٰ الّتي أضحت عنده مثل جرح مفتوح. فهذا المصير أضحىٰ مشوّهًا، ولم تعد

---

١ النّزاريان: الّذي يشير إلىٰ المسيحيين من أصل يهوديّ في القرون الأولىٰ من عصرنا.

٢ البيروثي: من بلدة بيروث، وهي بلدة في "بافاريا."

الموسيقىٰ مصدر فرح وتنوير منذ عهد "فاجنر"، إنّما صارت ألمًا وسوادًا.

هي موسيقىٰ الانحطاط ولم تعد مزامير "ديونيسوس"[1]، كلّ هذه الأشياء كان عليه أن يقولها مرارًا وتكرارًا، من أجل تجنّب مستقبلًا سوء الفهم الّذي ينشأ بالفعل بسبب انقطاعها. كان علينا العودة مرّة أخرىٰ، وشرح ذلك مرّة أخرىٰ، وكذلك تبريره. يمكن تدميرها في لمح البصر، لأنّني لست وقحًا بما يكفي لمعرفة كيفيّة فصل نفسي عن الأشخاص الّذين أحببتهم. لكن كلّ هذا حدث الآن، وما زلت علىٰ قيد الحياة. لقد كان علىٰ حقّ حين كتب "أندلر"[2] أنّ "نقد نيتشه للرّومانسيّة الأوروبيّة"، والّتي كان "فاجنر" جزءًا مهمًا فيها لا يمكن الحكم عليه في ذلك الوقت إلا علىٰ ضوء كامل فلسفته.

وقد كان نيتشه مرتبطًا بألوان كثيرة إلىٰ هذه الرّومانسية الّتي تأسّست لتدين في مجملها، كما أنّ لها جذورًا أخرىٰ في معظم الكلاسيكيات الفرنسيّة، لذا فهي في نهاية الأمر تعدّ الدّراسة المثاليّة للفنّ الكلاسيكيّ، والفنّ الرّومانسيّ. ولكن علىٰ الأرجح لم يدرك نيتشه ذلك بنفسه، لقد

---

١ ديونيسوس: إله الكرمة والنّبيذ وفائضه والجنون والإفراط (في الدّيانة اليونانيّة القديمة)، وهو إله ذو أهمّية قصوىٰ. وتتضمّن صلوات "أورفيك" صلوات علىٰ شرفه.

٢ أندلار: عالم رياضيات، وفيلسوف فرنسيّ من مواليد ٩ يونيو ١٩٤٦ في نيويورك، أستاذ فخري بجامعة باريس السّوربون ومتحصّل علىٰ وسام الاستحقاق من أكاديميّة العلوم الأخلاقيّة والسياسيّة.

كان متحمّسًا بشدّة، محمومًا، مريضًا، وبدأ هجومه الأخير على تأكيد ذاته بذكاء. لقد بدأ يعمل لليال طويلة بوضوح الفكر المثاليّ، وسعادة غير مسبوقة في التّعبير.

على السّاعة الثّانية صباحًا عندما ذهب صاحب بيت نيتشه "دُريش" لصيد الشّامواه[1]، كان نيتشه على طاولته بصدد الكتابة، حيث قال: "من يدري؟ ربّما سألاحق طريدة فوق إحدى القمم". وسأتبع هذا العجوز "ريتشارد" في مآثره وشجاعته، "فبمجرّد أن يكونوا قد تخلّصوا من معطفهم البطوليّ، يبدو أنّهم أخطئوا في "مدام بوفاري"[2].

في غضون أيام قليلة، كتب "المسيح الدّجال" ولا نرتكب خطأ بهذا الشّأن: فهذه المقالة الرّائعة ليست بأيّ حال من الأحوال موجّهة ضدّ يسوع وتعاليمه، ولكن ضدّ المفسّرين، والكهنة. ربّما لا يوجد مفكّر أو حتّى شاعر لم يفعل بقدر ما فعل وشعر به نيتشه في فهم سيّد المسيح لأنّ القصص الملفّقة جزئيًّا الّتي تصفه لنا تمّ تغييرها بحيث يتعذّر علينا التعرّف على الوجه "البوذيّ" له، الوجه المعطاء الجليل. إنّ المسيح كما رآه نيتشه هو شاعر بدائيّ للإنسانيّة حيث فاته "دوستوفيسكي" ليبيّن لنا

---

١ الشّامواه: من الثدييات المجترّة يتجوّل في الغابات وبين المروج العالية والمناطق الصّخريّة متغذّيًا من العشب والأغصان الصّغيرة الّتي يجترّها خلال النّهار.

٢ مدام بوفاري: رواية للشّاعر الكبير فلوبير.

كيف هو نقاء ذلك القلب الكبير، في أسمىٰ تكهّنات الفكر الّذي يعيب البساطة الشعبيّة، الّتي تشوّهت من قبل مستغلّيها. فهم الّذين سبّبوا الألم، وبالتّالي أحدثوا بالضّرورة الخطيئة. وهذا بسبب أنّهم يعيشونها، حيث جعلوا من الوجيعة قوتهم اليوميّ وقوت قلوبهم. كيف سمحوا ليصدّقوا أن تكون تلك الحياة الحقيقيّة، هي الحياة الأبديّة الّتي وجدوها، حتّىٰ ولو نُوعَدُ بها، (مقابل الموارد الماليّة والمعنويّة والماديّة). فكلّ التّلاميذ الأوائل ترجموا في حدود إمكانياتهم هذا الكائن الّذين لا يستطيعون فهمه، الّذي صنع من رموز، وأشياء مراوغة. وكلّ من اتّبعوه شوّهوه أكثر بالنّسبة لاحتياجاتهم أو لكبريائهم. لكنّ المسيح تكلّم فقط من خلال الصّور الملموسة، فقد كانت مملكته علىٰ ملك الأطفال. وقد كان إيمانه بلا حقد ولا توبيخ. وهي تعيش؛ وهي نفسها معجزته، ومكافأة له. فهي لا تحتاج إلىٰ صلوات ولا إلىٰ لاهوت، بل إلىٰ ممارسةالشّيء الّذي خلع المسيح عن عرشه، فمن اليهوديّة وفكرة الخطيئة، والمغفرة، وكلّ هذه الدّوغمائيّة الّتي تمّ تناولها وتطويرها بواسطة أطبّاء غربيين يدرّسون علم حياة جديدة وليس إيمان جديد. ومن هنا كان الحبّ. لأنّ الحبّ لا يطلب مكافأة أبدًا. وهذا ما وجده نيتشه تعبيرًا رائعًا: "ملكوت السّماوات هو حالة قلب".

هذا هو المسيح الدّجال لدينا. ألم نكن علىٰ حقّ حين اعتبرناه مسيحيّ جيّد؟ ليس مسيحيًّا حسب الكنيسة من دون شكّ، ولكن بالتّأكيد وفقا ليسوع. فيمكن أن نطبّق عليه بطريقة فعّالة

للغاية كلمة "فرانك هاريس"[1] عن "أوسكار وايلد"[2] يمكن أن تنطبق عليه: "وقد كان من المستحيل على هذا اليونانيّ المولود في هذه الفترة المختلفة أن يعيش كتلميذ ليسوع" رغم أنّ كتابه يوجد في أماكن تؤمن بالإنجيل تمامًا. وقد كانت حياته كذلك، كان كلاهما مرتبط بالدّاخل. فهذه ليست نظريات، بل هي ممارسة، لذلك فقد انضمّ هذا العالم الكبير إلى "فرنسيس الأسيزي"[3]، فقط على أفواههما يمكنك سماع جملة مثل هذه: "ملك الله ليس شيئًا نستطيع سماعه، ليس له أمس وليس له بعد غد، ولا يأتي بعد ألف عام؛ إنّها تجربة قلب في كلّ مكان، فيما ليس لديه مكان أيضًا"، وأكثر من ذلك، لا تدافع عن نفسك، ولا تغضب، ولا تتحمّل أيّ مسؤوليّة، ولكن أيضًا لا ترضخ إلى الشرّ؟

---

١ فرانك هاريس: هو كاتب روائيّ، صحفيّ وناشر ايرلنديّ أمريكيّ، ولد في ١٤ فيفري ١٨٥٥ وتوفّي في ٢٦ أوت ١٩٣١. ولد في ايرلندا وهاجر إلى أمريكا في سنّ مبكّر من حياته. جذب الكثير من الاهتمام خلال حياته بسبب شخصيته الغاضبة والعدوانيّة.

٢ أوسكار وايلد: اسمه الكامل أوسكار فينغال أوفلاهيرتي ويلز وايلد، كاتب وروائي وكاتب مسرحي وشاعر إيرلندي، ولد في دبلن في ١٦ أكتوبر ١٨٥٤ وتوفي في باريس ٣٠ نوفمبر ١٩٠٠.

٣ فرنسيس الأسيزي: أو (فرانسيسكو دي أسيس- فرانسيسكو بيرناردوني) ينحدر من مدينة إسيزي ولد ٢٦ سبتمبر ١١٨١ وتوفّي ٣ اكتوبر ١٢٢٦ من عائلة تعمل في التّجارة، وأمّ فرنسيّة.

هنا يظهر "تولستوي"[1] لكنّني كنت قد أظهرت بالفعل ما يفصل الفلاّح العجوز صاحب العضلات عن هذا الأرستقراطي الضّعيف. إنّ المرض يحفر بين هذين المخلوقين هاوية فكريّة لا يمكن تجاوزها.

في العين الحزينة للكائن المعافى يقرأ المرء دائمًا الخوف من الموت؛ تمدّ يد المريض اللّطيفة نحو الحياة، يرغب أن تمسك في الحبّ، حبّ لأنّ المرض يتعالى لأنّها بمفردها قادرة على توفير المتعة القصوى، "قمّة ديونيسيان"، أقصى درجات الإحساس، سكر، شلل، نشوة، صرع، وجنون، كلّ هذا نلمسه في قمّة الغموض الكبير للذّكاء الإبداعيّ.

لست خجلًا حين قلت أنّ نيتشه أحبّ وفهم المسيح أفضل من كلّ الأطبّاء المعاصرين. وكلّ هذا لا يزال صحيحًا، حتّى لو كنّا نعتقد، كما سمعته يهمس إلى "جيد"، لأنّه كان يغار من المسيح. بدافع الإعجاب هو دائمًا تقريبًا من أجل الحبّ، ونحن دائمًا هكذا في حالة الإفراط في الحبّ. إنّ كراهيّة نيتشه ليست موجّهة من المسيحيين، لأنّهم زوّروا كلمات المعلّم، بل لأنّهم لم يفهموا سبب وفاته. لأنّهم رأوا فقط الفكرة السّخيفة للتّكفير عن الذّبيحة بدلًا من تمجيد المثال المطروح، وهو التحرّر الكامل للعقل وتفوّقه على أيّ فكرة بغيضة، لأنّ معنى الموت المسيحيّ قد انحرف للأبد. فيما زاد القدّيس "بولس" من تفاقم هذا الخطأ، ليبيد هذا

---

١ ليو تولستوي: مؤلف وأديب من أعظم كتّاب روسيا ينتمي إلى أسرة عريقة، ذاع صيته في العالم نظرًا لإبداعاته الأدبيّة. ولد ٢٨ أوت ١٨٢٨ وتوفّي ٠٧ نوفمبر ١٩١٠.

الدّرس الأسمىٰ من خلال التّفكير في أنّ يسوع سيبعث من جديد. لم تكن حياة المخلص مفيدة له. ولم يكن في حاجة إلا لموته. إنّ ممارسة المسيحيّة تنبض في مذهبها ليست بأيّ حال من الأحوال مثاليّة، ولكن هي مجرّد وصفة للشّعور بالسّعادة، ونوع من الجبن أمام عظمة الإنسان الحقيقيّة الّتي هي سوء الحظّ المقبول، المفهوم والمتجاوز. وهذا هو السّبب في قيام نيتشه بكتابة تلك الجملة الرّهيبة عن المسيحيّة، تلك الكلمة اليائسة : "مات الإنجيل علىٰ الصّليب".

****

"ديونيسوس" المصلوب

عاد نيتشه في نهاية شهر سبتمبر إلىٰ "تورين"، واستأنف إقامته في غرفة عند" دافيد فينو"، بائع جرائد. كانت غرفته تقع في زاوية طريق "كارلو ألبرتو"، قبالة "قصر كارينيان". حيث وضعت الآنسة "فينو" بيانو علىٰ ملكها تحت تصرّف النّزيل الّذي يرغب في الارتجال إلىٰ نهاية أيّام عمله. أو يذهب إلىٰ مكتبة "روزنبرغ" و"سيلير" لتصفّح المستجدّات الجديدة، ويدردش مع الحرفاء. كان يستمع عن طيب خاطر إلىٰ الموسيقىٰ علىٰ شرفات المقاهي. يحبّ سيمفونيّة "لامسكوت"[1]، "لأودران"، ويهرب متىٰ عزفت الأوركسترا مقطوعة من سيمفونيّة "الزيجونرباروون"[2]. الطّقس لذيذ ومريح. خريف فاتر وكسول. لكنّه يشعر داخل جسده بخوف مروّع من الشّتاء. إحساس بنزلة برد داخل جسده. منذ شهور أيضًا لم يشعر بالدّفء إطلاقًا. رغم أنّه يحمل ثوب سميك، ولكن أنيق مصنوع عند أحسن خيّاط، ومع ذلك لم يجد نفسه أبدًا مبتهجًا، أو تمامًا علىٰ راحته. حين يتفحّص وجهه في المرآة الذّهبيّة الصّغيرة الّتي علىٰ ملك صاحب الغرفة. حيث يمنح نفسه عشر سنوات أقلّ من عمره. علاوة علىٰ ذلك، فهو يعلم أنّه يحظىٰ بالتّقدير والحبّ في

---

١ لامسكوت: أوبرا مرحة من ثلاثة فصول "لإدموند أودران."

٢ الزيجونرباروون: أوبريت فينا من تأليف "يوهان شتراوس جونيور"، كُتبت عام١٨٨٥ وعرضت لأوّل مرّة في فينا في٢٤ أكتوبر من ذلك العام.

"تورينو"، بل إنّه محبوب الأطفال في المقهىٰ علىٰ سبيل المثال، ويحتفظون دائمًا بأفضل القطع. ويا لها من شهيّة: لم يأكل هكذا قطّ بقلب طيّب.

للاحتفال بعيد ميلاده، بدأ بتصفّح سيرته الذّاتيّة والفكريّة: (كيف يمكن لنا أن نصبح ما نحن عليه الآن). كان الكتاب بأكمله قد كتب ما بين ١٥ من شهر أكتوبر إلىٰ ٤ نوفمبر في أفضل الظّروف الممكنة، أمام منظر طبيعيّ ناعم لدرجة أنّه يبدو وكأنّه منقول إلىٰ السّماء "كلود لورين"[١]. في المدينة، نحتفل بمسابقة في الجمال، هؤلاء السّيدات يعرضن شعرهنّ علىٰ أعلىٰ مستوىٰ ممكن، يشددن خصرهنّ، ويوجّهن أردافهنّ تحت المنعطفات، بينما كانت بساطة نيتشه تتمثّل في أنّه لا يقبل إلاّ الأوبرات. في أعلىٰ ذوق علىٰ النّمط الباريسيّ، مصقول بطريقة راقيّة. هذه اللّحظة من حياته الفانية تذكّرني ببداية "ستنداليان" لرسائل "ستندال"[٢] علىٰ الورم الخبيث. بكلّ بساطة عامة النّاس يحتقرون النّعم. إنّها سمة من سمات النّفوس المبتذلة الّتي تثمّن فقط الأشياء الّتي تخافها. نيتشه لا يتذكّر أنّه أوّل من قال ذلك: " كلّ ما هو طيّب هو خفيف، كلّ ما هو مقدّس يجري علىٰ رجليه الرّقيقتين". علينا تحويل حالة "فاجنر" إلىٰ كتيب "أوبيرات".

---

١ كلود لورين: رسّام فرنسيّ.

٢ ستندال: هنري بيل المعروف بالاسم المستعار ستندال، ولد في ٢٣ يناير ١٧٨٣ في غرونوبل وتوفّي بسكتة دماغيّة في ٢٣ مارس ١٨٤٢ في الدائرة الثانية بباريس، وهو كاتب فرنسي، اشتهر خاصّة برواياته (الأحمر والأسود).

هكذا اقترح على "جاست". واعترف له أنّ كتابته باللّغة الألمانية لم يكن إلا تفكيرًا في قرّائه الفرنسيين.

هكذا يحصل عندما يستريح نيتشه للحظة من كتابه الأخير، من كتابه الجديد، والأقوى على الإطلاق: "إرادة القوّة". نحن الّذين يعرفون المأساة الّتي سوف تحدث، فدعونا نرى هذا الوجه المسكين ونحن بصدد البحث عن أوّل علامات التّدهور. ليس أكثر، فمن المستحيل أنّ هذا العامل الّذي لا يعرف الكلل أبدًا، أن يكن ذا مزاج جميل للسّخرية والازدراء، وكانت يده واثقة من تقطيع اللّحم المتحلّل نيئًا عن طريق الأخلاق. كان يطلق العنان، يقطع، ويربط، سعيًا وراء الحقيقة الوحيدة وهي الحياة. ولكنّ الأطباء النّفسيين أدركوا كما يقال أنّ نوبات الجنون تسبقها غالبًا ذلك الهدوء الخصب الكبير حيث يكون الذّكاء فجأة عاملًا مميّزًا. كان نيتشه يعمل بجنون، وكأنّه كان قد حذّر من أنّ الغد لم يعد على ملكه.

في يوم أحد في نهاية شهر نوفمبر ذهب إلى حفل موسيقيّ، هناك واجه واحدة من أقوى الانطباعات في حياته. ولاحظ أنّه كان عاجزًا على قمع تكشيرة مستمرّة على وجهه. كان البرنامج: افتتاح بمقطوعة إيغمونت[1] والرّقص على مقطوعة هنغارية "لشوبير" بقيادة "ليزت"؛ ثمّ

---

[1] افتتاح بمقطوعة إيغمونت: موسيقى مسرحيّة مكوّنة من مقدّمة وتسعة أجزاء للسوبرانو.

مقطوعة أخرىٰ للإيطالي "روسارو" لم أعد أعرف ماذا تعني الأسماء الكبيرة... ربّما يبقىٰ الأفضل غير معروف "إنّ افتتاح "ساكونتالا" من قبل "جولد مارك"، و"لير دو سيبريس" عن طريق "رونو دو فيلباك"، وأخيرًا وليس آخرًا "الوطن" "لبيزات"، حتّىٰ يتمكّن نيتشه من السّيطرة علىٰ متعته الشّديدة، نيتشه لم يجد سوىٰ كآبة الدّموع، كان مكسورًا، مسترخ، واثق، مبتهج، هكذا هو مصغ غريب، غير معروف للجمهور، فهو الّذي انتهىٰ لتوّه من كتابة خمسة كتب في أسابيع قليلة.

أرسل كتاب "هذا الإنسان" إلىٰ النّاشر. إنّه الدّيناميت مرّة أخرىٰ الّذي سوف يقسم التّاريخ إلىٰ شطرين. فقد كتب له "ستريندبرغ" وكذلك أميرة روسيّة أيضًا؛ "جورج براندس" بيّن له درس جديد من فلسفته. انتهز نيتشه الفرصة لإعادة قراءة جميع أعماله. صار شعره يقف علىٰ رأسه: حتّىٰ بدا له أنّه قد بدأ فقط في فهمها، وإدراك أهمّيتها. وفجأة قرّر في ٦ ديسمبر فيما يخصّ كتاب "هذا الإنسان" التّمديد في فترة نشره.

وهذا الإحساس الغريب: "لست أدري لماذا عليّ أن أعجّل الكارثة المأساويّة في حياتي الّتي بدأت مع كتاب "هذا الإنسان". "هل علينا أن نرفع مرّة أخرىٰ هذا، في هوامش "لبيتر جاست" أولئك الّذين يتعاملون معي الآن حتّىٰ مزارع الفاكهة التي تختار لي عنبًا جميلًا، هم كائنات بارعين تمامًا، حكماء جدًا، ومبتهجين، قليلي الشّحم، مثل نادليّ المقاهي". إنّ هذه هي أولىٰ علامات الخرف؟ دعنا نقول علىٰ الفور أنّنا

لا نصدّق. ولا حتّىٰ الفرح الطّفوليّ الّذي أحسّ به حين تلقّىٰ رسالة قصيرة من السّيد "تاين"، وهو ما يجعله يهتف: "إنّ القناة الكبرىٰ من بنما إلىٰ فرنسا ستفتح لي من الآن فصاعدًا"، وهذا لا يبدو لنا مريبًا.

عيد الميلاد. من أعلىٰ غرفته الصّغيرة من طريق "كارلو ألبرتو"، يستمع نيتشه إلىٰ أحدث الموسيقىٰ من المقهىٰ في الواجهة المقابلة، (حلاّق إشبيلية)[1] آخر موسيقىٰ في فكره. يمتلأ الظلّ فجأة من أصوات أبطاله المحبوبين، والمكروهين: "يسوع"، "قيصر"، "فاجنر"، "ديونيسوس"، "زرادشت". ويطغىٰ علىٰ عقله ظلّ كامل من الضّياء الخافت، مصالحات غامضة لأحلام رقيقة، في عظمة متجسّدة. الوجوه الرّمزية الّتي ظلّت لسنين طويلة تقدّم صورًا في ذهنه، تفيق فجأة من لياليهم الفكرية، وتأتي لتبهر رؤية البائس الأعمىٰ. إنّه يضحك. ويحييهم. ويقبله بدوره واحدًا تلو الآخر.

يا له من عيد الميلاد لهذه السّنة ١٨٨٨، القويّة للغاية، الحبّ، الشّفقة، الطّيبة، القسوة، كلّ ما أحبّ، وكلّ ما أدان صار يغزو روحه المتفجّرة. فحين نضع علىٰ رؤوسنا عشرة تيجان، عشرون قلبًا، كلّ الحكمة، وكلّ حماقات الرّجال، كيف لنا أن تتذكّر الاسم المتواضع الّذي أورثه لك أبيك؟ ومع ذلك لا صاحب المنزل الّذي يسكنه، ولا الأولاد

---

[1] حلاّق إشبيلية: أوبرا الأكثر شهرة تمّ عرضها لأول مرة في عام١٨١٦، واعتبرها الكثيرون تحفة الأوبرا الإيطاليّة.

الّذين يقدمون إليه خدماتهم، ولا الّذين يرتادوا المقهىٰ الّذي كان يتردّد عليه، ولا أحد كان يشكّ في ذلك الغريب الوحيد، الهادئ ذلك الّذي فقد عقله منذ ساعات.

فقد تحصّل علىٰ قلم وقليلًا من الحبر وبدأ في الكتابة. أخيرًا العالم، العالم الشّاسع حيث تنتشر الكثير من الظّلال الباهتة والعمياء، سوف نتعلّم منها أخبار الكائن الحيّ الوحيد، ولكن الّذي نسي اسمه.

في ٢٨ من كانون الأوّل(ديسمبر)، كتب إلىٰ الأستاذ "أوفربيك"[١]، وهو زميله السّابق في "بال"، أنّه سيوحّد كلّ المحاكم الأوروبيّة في ثلّة مناهضة لألمانيا وسيقيم وطنه في قميص حديديّ[٢]. وفي الحادي والثّلاثين، قام بإرسال هذه السّطور إلىٰ "جاست":

".... الصّديق يا لها من لحظة .... كانت "ريبكون" الشّهيرة. لم أعد أعرف عنواني، فلنفترض أنّه: قصر "كويرينال". ثمّ إلىٰ "سترينديرج" الّذي أرسل له حكاية للتوّ:

"سيّدي العزيز، قريبًا سيكون لديك في فترة قصيرة ردّ علىٰ مجموعتك. هي سوف تكون مثل طلقة ناريّة. لقد أمرت بعقد اجتماعًا

---

١ أوفربيك: "فرانز كميل أوفربيك" مولود في١٦ نوفمبر١٨٣٧ في سانت بطرسبرغ وتوفّي في٢٦ يونيو١٩٠٥ في بازل، أستاذ لاهوت بروتستانتي ألماني ومؤرخ دينيّ. نشر القليل خلال حياته وظلّ دخيلًا بين زملائه بسبب مواقفه الإنتقاديّة في علم اللاّهوت.

٢ قميص حديديّ: يعني العادة وهذا اقتباس من مثل تشيكيّ.

لملوك روما، وأنا أرغب أن أطلق النّار على الإمبراطور الشّاب. وإلى اللّقاء، لأنّنا سنلتقي مرّة أخرى! بشرط واحد: أن نطلّق.

خلال أحد هذه الأيّام الحزينة، حين خرج إلى الشّارع. رأى سائق عربة يضرب حصانه على رأسه. هل كان عليه أن يضحك ويمرّ، ذلك الرّجل الّذي صنع من الشّفقة أمّا لكلّ الرذائل؟ ارتمى نيتشه حول عنق الحيوان وقبّله. وحملوه من هناك بعد لحظة حين أصيب بسكتة دماغيّة، وأحضره إلى منزله مالك العقار "دافيد فينو".

نام لمدة يومين، غارقًا في سبات عميق، ثمّ استيقظ جسده، ولكن كان على الدّماغ أن يبقى إلى الأبد نائمًا. ثمّ عاد على الفور إلى مراسلاته.

إلى العجوز "بوركهارت" في "بال":

أنا "فرديناند دي ليسبس" ... لقد دفنت مرتين في هذا الخريف.. أحيّي السّيد الخالد "دوديت" لأنّه واحد من الأربعين.

إلى "بيتر جاست":

"غنّي لي أغنية جديدة؛ سيتحوّل العالم، وتنتشي السّماوات".

"المصلوب"

أخيرًا، إلى السيّدة "كوزيما فاجنر"، هذا المنشور مجنون جدًّا ومحتشم جدًّا، هي الصّحوة البعيدة في وجعها القديم.

"أريان، أنا أحبّك"

"ديونيسوس"

كما يحتفون بأبّهة كبيرة في جنازة الأمير "الأدميرال يوجين دي سافوا كارينيان". رأىٰ نيتشه تحت نافذته الضّباط وكبار الشّخصيات والدبلوماسيون، المحكمة بأكملها. كان يعتقد أنّه يحضر جنازة، ثمّ ركض للانضمام إلىٰ الحشد مدّعيًا أنّه "الكاردينال أنتونيلي"، واتّجه نحو المحطّة مقتربًا من المارّة، قائلًا لهم: افرحوا، أنا الله. لقد تمكّنت من هذا التّمويه.

كلّ ما كره يرتفع داخله، ويغرق في أعماقه، واصلًا إلىٰ الفم مثل القيء في حطام بائس. عاد إلىٰ مالكه مؤدّيًا رقصات "ساتير"[1]، ملقيًا بنفسه علىٰ بيانو الآنسة "فينو"، حيث ما فتئ يسحق مفاتيح البيانو في تنافر رهيب. أخيرًا في ٩ من يناير (جانفي) من العام الجديد (١٨٨٩). فتح "أوفربيك" الباب، فألقىٰ نيتشه بنفسه بين ذراعيه، متحدّثًا إليه باللّغة الإيطاليّة، ثم بدأ في البكاء.

رافق الصّديق المخلص المجنون بعيدًا دون أن يعارضه أو يقوم بأدنىٰ مقاومة من خلال الرّحلة التي أخذته بعيدًا وإلىٰ الأبد من الأراضي الإيطاليّة. بالكاد تبادلا كلمات قليلة. مرّة واحدة فقط. بدأ نيتشه في ذلك ثمّ غنّىٰ. كانت أغنية الجندول البندقيّة الّتي وضعها الشّاعر في "هذا الإنسان"، فيما كان "أوفربيك" مهووسًا بلحن المجنون الرّائع.

---

١ ساتير: مخلوق من الأساطير اليونانيّة يتشكّل بأنثىٰ في الموكب الدّيونيسي الّذي يرافق الإله "ديونيسوس."

متّكئًا على الجسر،

كنت متيقّظًا في اللّيل المظلم.

من بعيد، جاءني نشيد،

كانت قطرات من الذّهب تتدفّق

على وجه الماء المرتعش...

الجندول، والأضواء، والموسيقى،

كان كلّ شيء يبحر نحو الغسق.

روحي وتر القيثارة

تغنّي لنفسها،

لمست بشكل غير مرئيّ،

أغنيّة الجندول...

يرتجف في نعيم متنوّع،

فهل ثمّة من يستمع إليه؟

لقد عاش فريديريك نيتشه بعد ذلك أكثر من عشر سنوات. لكن لم يكتشف بعد حقيقته، الشّهرة الّتي لم يتمكّن من معرفتها جاءت لتشبع الجبهة النّاعمة المفكّرة الشّباب الأوروبيّ يعترف أخيرًا لأحد أسياده، هذا المقعد الممتدّ للعبقريّ اللاّواعي. في قبو الطّويل الّذي ماتت فيه أشكال الذّكاء، وصدمه إله أكثر قسوة منه. كانت والدته وشقيقته قد استقرّا أوّلًا في العيادة أين كان نيتشه يعالج في "لينا". ومع ذلك فإنّ الكتب الأكثر مبيعًا في أعمال نيتشه (الّذين انتظروهم طويلًا دون جدوى) تسمح برفع مستوى أعلى لأحوال الفقراء الّذين لم يعرفوا طيلة حياتهم غير "تأثيث" الأحزان. منزل فاخر في مدينة "وايمار" أين "جوته"، "شيلر" و"هاردر" و"ليتز" تجوّل مجدهم، وتمّ تجهيزها بذوق عال. كان يجمع حوله كلّ ما لديه من الكتب، وكلّ أوراقه. ولاحظنا من شهر إلى شهر ومن سنة إلى سنة حتّى يستفيق هذا الشّبح، ولكن في هذه السّاعة لم يأت بعد. ومع ذلك في بعض الأحيان يظهر توهّج يبرزه.

- ألم أكتب بعض الكتب الجميلة؟ تساءل:

ذات مرّة حين رأى وجه أخته مغمورًا بالدّموع.

قال لها "ليسبث" لماذا تبكين؟ ألسنا سعداء؟

وحين نعرض عليه صورة "فاجنر":

قال: هذا، لقد أحببته كثيرًا.

لمَ لا نفكّر في "بودلير": "يبتسم بسعادة" أمام نفس الوجه أيضًا في الوقت الّذي كان ذكاؤه ضبابيًّا. عشرة سنوات في حياة عاشبة، لقد صار جميلًا جدًا. صاحب وجه أنيق، وأيديّ رائعة رغم ضعفهم. كان يحمل سترة صوفيّة ناصعة البياض مثل سترة قس. هناك بعض الأصدقاء الّذين قبل رؤيتهم، وكانت إحدىٰ الزّيارات الأخيرة الّتي تلقاها في شهر أغسطس (أوت) من سنة ١٩٠٠، كانت ملكة جمال السّابقة "فون دير باهلين"، الّتي أصبحت بارونة "أونغرن-شتارنبرغ"، الّتي كانت برفقة نيتشه حين قام بأوّل رحلة له إلىٰ إيطاليا قبل أربع وعشرون سنة، فهل كان يعرفها؟ نحن لا نعرف ذلك. حدّق بها جيّدًا بنظرة قويّة وحلوة، نظرتها الّتي بدت وكأنّها ترىٰ ذلك بعيدًا، الآن لم يعد يرتدي نظّارات، وابتسم "بيتر جاست" الّذي كان هناك يعزف الموسيقىٰ ونيتشه يضرب طويلًا يداه الشّاحبتين واحدة بأخرىٰ. ربّما كان آخر ما فهمه هو الكلمات العميقة لهذا البيانو، لهذا الصّديق الّذي كان دائمًا وحيدًا، والّذي كان لا يزال وحيدًا في سماع الموسيقىٰ. لكن بلا فكر حيث لم تخرج أيّ كلمة من روحه المتحصّنة.

في ٢٠ أغسطس(أوت) أصيب نيتشه باحتقان رئويّ. وفي ٢٤ من نفس الشّهر أصيب بسكتة دماغيّة وهو طريح الفراش، حينها اندلعت علىٰ المدينة عاصفة عنيفة. كان ذلك في اليوم التّالي، عند الظّهر انتهىٰ نيتشه،

محاصرًا في صمته. هكذا ينطفئ قلب مثاليّ لا أحد سوىٰ أخته وصديقه تمكّنوا من حبّه.

لقد رأيت هذه الغرفة، وهذا السّرير، والصّورة الأخيرة للرّجل المريض، بعينه الثّابتة، والمفتوحة بشكل غير متناسب وهو يسعىٰ إلىٰ أن يتذكّر. "الآن يبدو أنّه يقول: إنّي آمركم بأن تضيعوني، حتّىٰ تجدوا أنفسكم".

باريس، جويلية ١٩٢٩

****

سيرة الكاتب: جاي دوبورتالاس

هو كاتب فرنسيّ من أصول سويسريّة ولد في ٤ أغسطس ١٨٨١ في برلين وتوفّي في لوزان في ١٢ يونيو ١٩٤١، وكان يتحدّث الفرنسيّة. هو ابن هيرمان ألكسندر دوبورتالاس (ولد في ٣١ مارس ١٨٤٧ في نوشاتيل وتوفي في ٢٨ نوفمبر ١٩٠٤ في جنيف) وزوجته الأولىٰ مارغريت مارسيت (١٨٥٧-١٨٨٨). كان بحّارًا وشارك في دورة الألعاب الأولمبية الصّيفيّة لعام ١٩٠٠ في باريس كانت زوجته الثّانية هيلين (١٨٦٨-١٩٤٥).

كانت أوروبا هي الأرض الّتي سيغذّي غي دي بورتاليس عمله، لكنّه اختار فرنسا كوطن روحيّ له، مستفيدًا في عام ١٩١٣ من القانون

الّذي يسمح لأبناء المهاجرين بإعادة الاندماج في الجنسيّة الفرنسيّة. انتقل إلىٰ جنيف حيث أمضىٰ طفولته في نوشاتيل وبون وبرلين وأخيرًا إلىٰ باريس ظلّ غي دي بورتاليس مخلصًا لشواطئ بحيرة جنيف الّتي تشكل موقع روايته عن سيرته الذّاتيّة. احتجزته الحرب عام ١٩٣٩ في منزله في إتوي قرب لوزان حيث علم بوفاة ابنه الّذي سقط في فلاندرز علىٰ بعد كيلومترات من المكان الّذي تعرض فيه للغاز في عام ١٩١٥.

****

سيرة المترجم: فتحي ساسي

شاعر ومترجم من مواليد غرّة جوان بمدينة نابل بالجمهورية التونسية سنة ١٩٦٢.

* يكتب قصيدة النّثر والومضة والهايكو.

* شارك في العديد من الملتقيات الأدبيّة.

* عضو اتحاد الكتّاب التّونسيين.

* عضو في نادي الإبداع الأدبي بدار الثّقافة بسوسة.

* كتب في العديد من الأنطولوجيات في كلّ أنحاء العالم ونشر في مجلات عالمية مختلفة.

إصدارات شعريّة:

١- المجموعة الشّعريّة الأوّلىٰ بعنوان: بذرة عشق دار البراق المنستير في ٢٠١٠.

٢- المجموعة الشّعريّة الثّانية بعنوان: أحلم... وأوقّع علىٰ العصافير آخر الكلمات البراق بالمنستير ٢٠١٣.

٣- المجموعة الشّعريّة الثّالثة في دار أروقة المصريّة في ٢٠١٦: سماء لطائر غريب (طبعة أولىٰ)

وطبعة ثانيّة في سبتمبر ٢٠١٨ لهذا الكتاب في دار ميّارة للنّشر.

٤- المجموعة الشّعريّة الرّابعة في مصر في مارس ٢٠١٧: كوردة وحيدة...علىٰ مقعد في دار بورصة للنّشر.

٥- المجموعة الشّعريّة الخامسة في أفريل ٢٠١٨ مصر: كنت أعلّق وجهي خلف الباب في دار بورصة للنّشر.

٦- المجموعة الشّعريّة السّادسة في أفريل ٢٠١٩ في دار وشمة للنّشر: طريقة جديدة للغياب.

٧- المجموعة الشّعريّة السّابعة في الومضة (وحبّك يأتي كظلّ قصيدة) عن دار ريشات بقربة في أكتوبر ٢٠٢٠.

٨- المجموعة الشّعرية الثّامنة في الومضة (وأنت القصيدة كلّها) دار اتحاد الكتاب التونسيين في ماي٢٠٢١.

٩- المجموعة الشّعرية التّاسعة في الومضة (ويسهر اللّيل علىٰ شفتي.... والغمام) في دار مانكوا بابليشينق بزمبابوي في سبتمبر ٢٠٢١.

١٠- كتاب في القصّة القصيرة جدًّا بعنوان (صاحب المزمار) صدر دار عليسة للنّشر أوت ٢٠٢١.

الأَعْمَالُ المُتَرْجَمَةُ إِلَى العَرَبِيَّةِ

١- كتاب (قصائد للظّلال) نشر في مصر في دار بتانة للشّاعرة التركية ك. هلال.

٢- مختارات للشّاعر اليونانيّ مانوليس ألكيزاكيس(قصيدة لأفروديت) نشر في مصر أفريل ٢٠١٨.

٣- ترجمة لمجموعة قصائد في كتاب مترجم لخمسة لغات للشّاعر الأمريكي س. بودان جوان٢٠١٨.

(God's silence a lion's roar)

٤- ترجمة لمختارات للشّاعر المنغولي هدا صاندو تحت عنوان (أنا لا أحتاج جنازة) في نسخة الكترونية.

٥- ترجمة لمختارات للشّاعر رحيم كريموفيتش تحت عنوان (خطأ بوشكين) نشره مجدي صالح في المكتبة الملكيّة السّويديّة عن دار نشر رقمنة الكتاب العربي بستوكهولم.

٦- ترجمة لمختارات للشّاعرة الإيطالية ماريا ماريلا (ربّما كان في انتظار غودو) نشرته دار ايكار للنّشر بالعراق في جانفي ٢٠٢١.

٧- ترجمة للشّاعر تنداي منيكوا من زمبابوي بعنوان (سجلّ مكتوب لتائه) نشر في سبتمبر ٢٠٢١.

أعْمَالُي الّتي ترجمتها إِلَى الإِنْجِلِيزِيَّةِ

١- كتاب مترجم في الومضة نشر في كندا في موفى شهر ماي٢٠١٧ من النّسخة العربية وأنت القصيدة كلّها.

(AND YOU ARE THE ENTIRE POEM)

٢- ترجمة في الومضة (قل للفراشات أعيدوا لي أجنحتي) نشر في كندا في جويلية ٢٠١٨.

(wings and butterflies)

٣- ترجمة في الومضة نشر في زمبابوي (رميت نجمة في كأس من النّبيذ) في جويلية ٢٠١٨.

(I throw a star in wine glass)

٤- ترجمة لكتابي الخامس (كنت أعلّق وجهي خلف الباب) نشر في كندا جويلية ٢٠١٩.

(I used to hang my face behind the door)

٥- ترجمة لكتابي الشّعري في الومضة للإنجليزية (غيوم علىٰ قصائدي) نشر في كندا أكتوبر٢٠١٩.

(Clouds on my poems)

٦- ترجمة لمجموعتي الرّابعة النّص العربي (كوردة...وحيدة علىٰ مقعد) إلىٰ الإنجليزية في دار أكيوتو.

(As alone rose on a chair)

٧- ترجمة للنصّ الأصلي في الهايكو نشر في دار سيبرويت الهنديّة في ديسمبر ٢٠٢٠.

Hundred roses for one butterfly (English)

٨- ترجمة لكتابي الثّالث (سماء لطائر غريب) للإنجليزية في دار مناكوا بزمبابوي في سبتمبر ٢٠٢١. (A sky for a foreign bird)

ما تُرجم لي

١ - المجموعة الثّالثة ترجمها للفرنسيّة الأكاديمي منير السّرحاني في دار الأرماتون بفرنسا أفريل٢٠١٨.

(Un ciel pour un oiseau étranger)
https://livre.fnac.com/a12494149/Fethi-Sassi-Un-ciel-pour-un-oiseau-etranger

٢- مجموعتي الشعريّة مترجمة من العربيّة إلىٰ لغة الفرنسيّة والإنجليزية (كلّ هذا الكون وجه حبيبتي).

عن دار ميّارة للنّشر في أكتوبر ٢٠١٨

٣- مخطوط شعريّ مترجم من العربية إلىٰ الإنجليزية للمترجمة منية الزّغيدي لكتابي الشّعري.

(And your love comes like a poem shadow)

النّص الأصلي (وحبّكِ يأتي كظلّ قصيدة) في أكتوبر٢٠١٩ نشر في دار لولو بفرنسا.

٤- مخطوط شعريّ مترجم من العربية إلىٰ الفرنسيّة للشّاعر والمترجم محمد الصّغير القاسمي لكتابي

الشّعري (قل للفراشات) نشر في دار إيدليفر بفرنسا في نوفمبر٢٠١٩.

(Dis aux papillons)
https://www.edilivre.com/dis-aux-papillons-fethi-sassi.html/

https://livre.fnac.com/a13992863/Fethi-Sassi-Dis-aux-papillons

٥- ترجمة لكتابي الخامس إلىٰ اللّغة الإسبانية الشّاعر البرازيلي ارينو كوريرا أكتوبر ٢٠٢٠.

Dedos dela Poesia
https://www.fnac.com/.../Traducion-Irineu-Correia-De-Oliveira...

٦-ترجمة لكتابي الخامس إلىٰ اللّغة البرتغالية من الشّاعر البرازيلي ارينو كوريرا في أكتوبر ٢٠٢٠.

Dedos da Poesia

٧- ترجمة لكتاب شعريّ ويسهر اللّيل علىٰ شفتي والغمام إلىٰ اللّغة الكاتولينية في نوفمير ٢٠٢٠.

La noche permanence despierta en mis labios
https://www.amazon.com/dp/B089KSLWZ8

٨- ترجمة لمجموعتي الخامسة إلىٰ اللغة الفارسيّة للمترجم والشّاعر ابراهيم رحيم في سبتمبر ٢٠٢٠.

https://www.amazon.com/dp/B08BLQXQ4V

٩- ترجمة لكتابي الومضات للفرنسية (ويسهر الليل علىٰ شفتي... والغمام) صدر في جويلية٢٠٢١.

عمل للمترجم الرّائع صالح مورو ونشر في دارلي تروا كولون بباريس.

(Enivre-toi m a chuchoté une étoile).

١٠- ترجمة لمختارات من كتابي الخامس (كنت أعلّق وجهي خلف الباب) للشّاعرة والمترجمة الأكاديمية ماريا ماريلا للغة الإيطاليّة في أوت ٢٠٢١.

(Appendo i miei sogni ogni notte)
http://negozio.lemezzelane.eu/prodotto/appendo-i-miei-sogni-ogni-notte-carta?fbclid=IwAR12XP8JKK5PUu2H_1IU1EAp6Z41iuPdhR1I6lt-pvkD0S6tZI1IUrj2g5Q

جاي دو بورتالاس
Guy De Pourtalès

نيتشه في إيطاليا
Nietzsche in Italia

لمدة خمسة عشر عامًا، بعد زيارته الأولىٰ لإيطاليا في عام ١٨٧٦ انجذب نيتشه مرارًا، وبرغبة لا تقاوم، إلىٰ مناخ إيطاليا وأسلوب الحياة فيها. هناك قام بتأليف أشهر أعماله، ومن ضمنها "هكذا تكلّم زرادشت". تقتفي هذه السيرة الذاتية الكلاسيكية الفيلسوف المضطرب من روما، إلىٰ فلورنسا، مرورًا بالبندقية، وسورينتو، وجنوة، وصقلية، وصولاً إلىٰ الخاتمة المأساوية في تورينو، المدينة التي وجد فيها نيتشه، مقياسًا نهائيًا للرضا، قبل انهياره الذي لا رجعة فيه. كتاب "نيتشه في إيطاليا" سوف يجتذب أي شخص مهتم بعلاقة نيتشه مع الدولة التي أثرت روحه أكثر من أي دولة أخرىٰ.

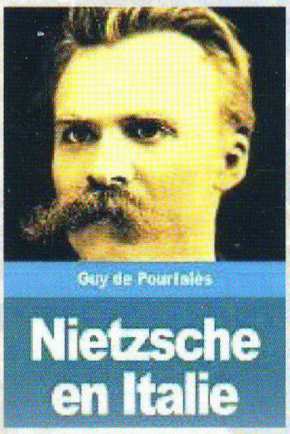

teriaqpublishing@gmail.com @teriaq_ksa الرياض

9 786039 183907

للنشر والتوزيع
TERIAQ
FOR PUBLISHING